

د. نوال السعداوى



# الإله يقدم استقالته فى اجتماع القمة



المسرحيات

مكتبة  
مدبولى

### قصة هذه المسرحية (\*)

لهذه المسرحية قصة حقيقية، بدأت في واقع الحياة التي عاشتها مؤلفة المسرحية، ليلة التاسع من يونيو ١٩٩٢، بمدينة القاهرة، عاصمة جمهورية مصر العربية.

بعد منتصف الليل سمعت المؤلفة الدقات على باب بيتها في شارع مراد بالجيزة. هذه الدقات في مثل هذا الوقت لم تكن إلا لزوار الفجر. هاتان الكلمتان «زوار الفجر» كانا يجريان على ألسنة الناس في مصر القديمة ومصر الحديثة منذ عهد محمد علي باشا حتى اليوم. إنهم رجال البوليس يهبطون على بيوت الناس قبل طلوع الفجر بقليل، يقبضون على الرجال والنساء لإيذاعهم السجون، كما يقبض عذرائيل إله الموت على الأرواح.

كانت المؤلفة نائمة في سريرها إلى جوارها زوجها. لم تسمع هي

---

(\*) هذه المسرحية قدمت على مسرح جامعة ديوك يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦ قام تمثيلها الطلبة والطالبات بقسم الأديان تحت إشراف رئيس القسم الأستاذ الدكتور بروس لورانس.

قام بتلخيصها وترجمتها إلى اللغة الإنجليزية الأستاذ عز الدين الشرجي (من المغرب) بجامعة ديوك بولاية نورث كارولينا بأمريكا الشمالية.

الأعمال الكاملة. المسرحيات

الدقات أول الأمر. أو سمعتها وتصورت أنها مجرد حلم، أو كابوس، أو ذكرى ما حدث في الماضي، حين دقوا عليها الباب يوم السادس من سبتمبر ١٩٨١، كانت وحدها بالبيت، تصورت أنهم لصوص فلم تفتح الباب، فإذا بهم يكسرون الباب ويسوقونها إلى السجن دون تحقيق ودون جريمة، اللهم حروفها المطبوعة على الورق.

كان زوجها هو الذي سمع الدقات تلك الليلة من يونيو. بخبرته الطويلة داخل السجن أدرك أنهم زوار الفجر. إنه طيب وأديب مرهف الحس، كان في شبابه يحلم بالحرية والعدل، فإذا به نزيل السجن ثلاثة عشر عاما، أجمل سنين الشباب قضاه وراء القضبان، وأربعة سنوات قضاه في المنفى، بقية العمر عاش مطاردا لم يستقر إلا الأعوام الأخيرة بعد أن تجاوز السبعين عاما.

هاهي الدقات على الباب تؤكد أنه لم يستقر أبدا، وأن زوار الفجر لن يتركوه يكمل الحزء الأخير من مذكرات حياته.

لكن هذه الزيارة لم تكن للزوج وإنما للزوجة، مؤلفة المسرحية، هذه المرة لم يسوقوها إلى السجن، ولكن زفوا إليها خيرا مفزععا. أحد الأساتذة من الكتاب الإسلاميين تم اغتياله منذ ساعات. القتلة مجهولون حتى الآن. أصدرت الحكومة أمرا بحماية الأرواح التي وردت أسماءهم في قائمة الموتى.

- قائمة الموتى!؟

كلمتان مفزععتان، كانتا تجريان على ألسنة الناس في السنين الأخيرة، هناك قوى مجهولة تتحدث بلسان الله وتمسك في يدها الرشاشات والفتايل. تطارد أي إنسان يكتب شيئا يختلف عما يقولون. تحكم عليه

الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة

بالكفر أو الردة عن الإسلام. تضع اسمه في قائمة الموتى، وتنفذ الحكم بالرصاص ثم تهرب.

في ديسمبر ١٩٨٨ أصدرت الحكومة أمرا بوضع حراسة مسلحة حول بيت المؤلفة. لم تعرف المؤلفة السبب. إن أوامر الحكومة مثل أوامر الله تنفذ دون سؤال عن الأسباب. عاشت المؤلفة تحت الحراسة عامين من ديسمبر ١٩٨٨ إلى ديسمبر ١٩٩٠. ثم اختفت الحراسة المسلحة فجأة كما جاءت دون إبداء الأسباب.

لكن الناس في مصر كغيرها من بلاد العالم تتسلى بالحكايات، أبطالها شخصيات حقيقية يعرفها الجميع، على رأسهم طبعاً رئيس الدولة، فهو قمة الهرم الأكبر فوق الأرض. لا يعلوه إلا الله الجالس على عرش السماء، وكان الناس يخلطون دائما بين شخصية الجالس على عرش الأرض والجالس على العرش السماوي. هذه عادة الناس في كل مكان وزمان. لأسباب متعددة، منها أن رؤساء الدول منذ نشوء الدولة في التاريخ يتخفون وراء اسم الله. يصدرون الأوامر باسم الله. يبدأون أي خطاب للناس باسم الله. كيف يمكن إذن للناس أن تفصل بين لسان رئيس الدولة ولسان الله سبحانه وتعالى!؟ وكان رئيس الدولة يطلق على نفسه ألقابا مقدسة مثل «الابا» في الغرب و«الإمام» في الشرق، ويقض بين يديه على السلطات جميعا السياسية والدينية وأهمها طبعاً الخزانة العامة أو أموال الدولة، التي دخلت في التاريخ تحت اسم أموال الكنيسة أو الجامع، في التاريخ الحديث يسمونها «بنك الله» على غرار «حزب الله» الذي أصبحت له قوة سياسية وعسكرية لا ينافسه في قوته إلا حزب الشيطان.

دارت بين الناس حكاية تقول أن الحراسة المسلحة وضعت حول بيت

المؤلفة لأنها أصدرت رواية تحت عنوان «سقوط الإمام» أجزاء من هذه الرواية كتبها داخل سجن النساء عام ١٩٨١ بالقاهرة، قبل اغتيال رئيس الدولة في مصر «أنور السادات» بشهر واحد.

كان السادات يخلط كثيرا بين الحاكم الأرضي رئيس الجمهورية الذي يستمد قوته من القانون المدني وتشريعات الدولة، وبين الحاكم الديني «الإمام» الذي يستمد قوته من القانون الإلهي وكتاب الله، وقد غير الدستور المصري، وأصبحت الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد لهذا الدستور. حمل السادات لقب «الرئيس المؤمن»، وأصدر قرار بأن المرتد عن الإسلام عقابه الإعدام، ونصب نفسه رئيسا مدى الحياة كالألهة الخالدون.

لم تشعر المؤلفة بالأمان تحت هذه الحراسة المسلحة. أيمكن أن تحمي الحكومة حياتها؟ كانت الثقة مفقودة بين الناس والحكومة. منذ نشوء الحكومات في التاريخ لم ير الناس منها أى خير. اغتيايات حدثت للمحروسين بيد حراسهم والأستاذ الكاتب الإسلامى الذى تم اغتياله كانت الحكومة تحرسه. طلبت من الحكومة عدم حماية حياتها، فهى حياتها تملكها وتحميها بنفسها. رفضت الحكومة الطلب. قالت للمؤلفة إن حياتك ليست ملكا لك ولكنها ملك الحكومة.

لأول مرة تشعر المؤلفة أن حياتها مهددة وليست ملكها الرصاصه سوف تنطلق حتما. من هى اليد التى سوف تضرب؟ أعداؤها كثيرون منذ أمسكت القلم وكتبت. داخل الحكومة وخارجها. على رأسهم بالطبع المتكلمون باسم الله، الضاربون بالرصاص باسم الله أيضا.

فى الليل تحلم المؤلف أنها تحولت إلى كائن يشبه الطائر له جناحان، وأنها تطير وتطير، تجتاز حدود الوطن وتجو بحياتها. لكنها تصحو من

النوم، وترى الحراس أمام الباب والبودى جارد يشبه الجلادين، وبدأت المسرحية تنمو فى أحشائها كالجنين.

فى يوم وهى جالسة تكتب فى بيتها دق جرس الباب. كانت فتاة شابة بيضاء البشرة، شعرها ناعم أصفر، طويلة القامة اسمها إليزابيث، أمريكية الجنسية، جاءت فى زيارة قصيرة إلى مصر، أرادت أن تتعرف على المؤلفة، فقد قرأت لها بعض الروايات والكتب حين كانت طالبة بإحدى الجامعات. دهشت إليزابيث حين رأت الحراس والبودى جارد. سألت المؤلفة عن سبب وجودهم. لم تعرف المؤلفة الإجابة. سألتها إليزابيث لماذا لا تنقذ نفسها وتترك هذا المكان. لم تعرف المؤلفة مكانا آخر غير بيتها والوطن الذى ولدت فيه قالت المؤلفة لنفسها: «وأين يمكن أن أذهب؟! لا أعرف مكانا آخر. قالت إليزابيث: يمكن أن تذهبى إلى جامعة ديوك، هناك أستاذة تدرس اللغة العربية اسمها ميريام كوك، وهى تدرس رواياتك وكتبك، وسوف ترحب كثيرا بك.

- وماذا أفعل فى جامعة ديوك؟

- تدرسين رواياتك وكتبك للطلبة والطالبات، إنهم يحبون كتاباتك، وكنت واحدة منهم، وقررت أن أزورك فى أول زيارة لى لمصر.

خرجت إليزابيث من بيت المؤلفة، وأدارت رقم التليفون ليرن فى مكتب الدكتور ميريام كوك فى جامعة ديوك، فى مدينة ديرهام، بولاية نورث كارولينا، على الشاطئ الشرقى الجنوبى لأمريكا الشمالية.

هكذا أصبحت المؤلفة أستاذة زائرة فى جامعة ديوك، تلتقى بالطلبة والطالبات مرتين فى الأسبوع، تدرس تناقش معهم رواياتها ومنها رواية سقوط الإمام. منذ عشرين عاما بدأت هذه الرواية فى خيال المؤلفة. كتبها أول الأمر على شكل مسرحية. كان «الإمام» بطل المسرحية يظهر

أحيانا على شكل رئيس الدولة «السادات»، وفي أحيان أخرى يرتدى ثياب الرب الأعلى ويجلس على عرش السماء. لم تكن القوانين تسمح بتجسيد شخصية الرب الأعلى فوق خشبة المسرح. الأنبياء أيضا شخصيات مقدسة لا تظهر صورهم ولا يمكن تجسيدهم في أعمال مسرحية. شخصية رئيس الدولة تدخل أيضا ضمن الشخصيات المقدسة، وكان السادات يرأس الدولة والحكومة معا والجيش والحزب الحاكم، أيضا والعائلة. أعطى نفسه لقب «رب العائلة» ثم أصبح للحكومة رئيسا آخر يسمونه «رئيس الوزراء»، وهو شخصية بشرية يخضع للنظام الديمقراطي أو التعددية الحزبية، يمكن أن يتلقى النقد من الأحزاب المعارضة بصفته المسئول عن أخطاء الحكومة وشرورها أما رئيس الدولة فهو غير مسئول عن الشر. إنه مسئول فقط عن الخير مثل الله سبحانه وتعالى. أما الشر فهو مسئولية شخص آخر هو الشيطان، أو إبليس، أو رئيس الحزب المعارض، أو رئيس الحكومة، أو رجل آخر أو امرأة تكتب رأيها بحرية. هذا هو كيش الفداء، الذي يطرد من منصبه أو يذبح أو يهدد بالذبح كما حدث لإسماعيل ابن سيدنا إبراهيم، وستنا حواء التي حملت عبء الخطيئة الكبرى وحدها.

لم يكن لمثل هذه المسرحية أن ترى النور. كتبها المؤلفة في ظلمة الليل بالحبر السري أو الحبر الأبيض. لا يمكن أن تظهر الحروف فوق الورق والا أصبحت المؤلفة في خبر كان. يصدر الحكم بإعدامها والجريمة هنا مضاعفة، تجسيد الرب الأعلى قدس الاقداس على خشبة المسرح؟ هذا أمر لم يحدث في التاريخ القديم أو الحديث. ربما أمكن تشخيص بعض رؤساء الدول بعد موتهم. لكن شخصية الله سبحانه وتعالى لا يمكن أبدا أن تظهر على المسرح والا انهيار الكون وسقطت السماء على الأرض.

من شدة الرعب كومت المؤلفة أوراق المسرحية في صفيحة جاز فارغة وأشعلت فيها النار. ثم جلست إلى مكتبها وبدأت تكتب رواية من وحي المسرحية المحروقة اسمها «سقوط الإمام» في هذه الرواية لم تظهر شخصية الرب الأعلى إلا من وراء الستار، بل إن حارس الجنة سيدنا رضوان عليه السلام ظهر في مشهد واحد، وكان مجرد الوسيط بين الإمام الواقف عند باب الجنة والرب الأعلى الذي عرفنا أنه دخل الجنة (دون أن نراه بالطبع).

رغم كل هذه الحرص دخل اسم المؤلفة قائمة الموتى.

جلست في بيتها تفكر ماذا يمكن أن يحدث لها لو أنها جعلت الرب الأعلى مريئا. بمعنى آخر ماذا يحدث لها بعد دخولها قائمة الموتى. كانت تعرف أن بعد الموت هناك الجنة أو النار أو اللاشيء. لماذا لا تكتب المسرحية إذن والموت نهاية المطاف؟

أصبحت هذه المسرحية تلح عليها في النوم واليقظة. أهو إبليس كان يوسوس لها بالمسرحية؟! تريد أيضا أن تجسد هذه الشخصية على الخشبة. يمكن أن تعمل ذلك دون أن تتعرض للموت، وبشرط أن تجعل إبليس هو المسئول عن الشر. ولم يكن في إمكانها أن تفعل ذلك. رأت المؤلفة في شخصية إبليس جوانب إيجابية لا بد أن تظهر في المسرحية. كان أكثر الملائكة توحيدا لله. فهو الوحيد الذي رفض أن يركع لعير الله، واعترض على الله حين أمره بالركوع لآدم. هذه الفكرة خطرت للمؤلفة وهي طفلة في السابعة من عمرها، حين قرأت قصة آدم وحواء في كتاب الله. كانت الطفلة تكبر بالطبع وتقرأ أكثر وأكثر في كتب الله الثلاثة. كلما أو غلت في القراءة تجسدت أمامها شخصيات الأنبياء على رأسهم سيدنا إبراهيم بالطبع، يليه سيدنا موسى، ثم سيدنا عيسى، ثم

سيدنا محمد، وسيدنا آدم، وستنا حواء وستنا مريم وفرعون وزوجة فرعون وإبليس والله سبحانه وتعالى الرب الأعلى. عند هذه الشخصية الأخيرة كانت تتوقف عن الكتابة. أربعون عاما مرت من عمرها وهي تكتب، لا تستطيع أبدا أن تقترب من هذه الشخصية، مع أنها الشخصية الرئيسية في جميع الأحداث هي الأصل والسبب الأول. هي مصدر الأوامر. هي التي تحكم وتوقع العقاب أو الثواب. هي كل شئ وهي في كل مكان، ومع ذلك لا بد أن تكون مختلفة وغير مرئية وغير موجودة أمام الناس. تركت المؤلفة المسرحية وكتبت رواية اسمها براءة إبليس، هكذا دخل اسم المؤلفة في عدد من قوائم الموت وليس قائمة واحدة.

وفي ليلة الرابع من أكتوبر ١٩٩٦ دعيت المؤلفة إلى منزل الدكتور بروس لورانس أستاذ بالجامعة، ورئيس القسم الديني، وزوج الدكتورة ميريام كوك. كانت الدعوة تشمل العشاء مع مشاهدة مسرحية يمثلها مجموعة من الطلبة والطالبات. درسوا الدين على يد الدكتور بروس لورانس، وضمن الكتب المقررة عليهم كانت روايتي «سقوط الإمام» وبراءة إبليس ومن هاتين الروايتين استوحى الطلبة والطالبات مسرحيتهم.

قبل بداية المسرحية كان طالب يقوم بدور الراوي، قال أن تجسيد الله أو الرب الأعلى على المسرح كان مستحيلا، ليس خوفا من دخول النار بعد الموت، وإنما هو عجز الخيال البشري عن تصور الله أو الروح أو الهواء أو اللاشئ داخل جسد مادي من لحم ودم يتحرك فوق المسرح. كيف يكون شكل هذا الجسم؟ كيف يكون حجمه بالنسبة للشخصيات الأخرى. ماذا تكون لون بشرته؟ بيضاء مثل كلينتون رئيس أمريكا أم سوداء مثل الزنوج في نورث كارولينا وإذا أصبح الله أسود البشرة فماذا يكون لون الشيطان؟! هكذا حذفت شخصية الله من المسرحية، ولم

يتجسد منها شئ فوق الخشبة إلا الصوت. صوت الله فقط سمعناه بصوت أحد الطلبة المختفى وراء جدار.

بعد إنتهاء المسرحية عادت المؤلفة إلى شقتها الصغيرة في شارع دوجلاس بمدينة ديرهام بولاية نورث كارولينا، كانت الساعة الحادية عشر ليلا. ارتدت قميص النوم إلا أن النوم لم يأت. أشياء تدور في رأسها مثل خلية نحل. شخصيات في مسرحيتها القديمة تبعث من الموت. يدبون بأرجلهم على الخشبة، تسمع الديب في رأسها. أخذت حماما ساخنا لتطردهم دون جدوى. لم يكن أمامها إلا أن تنهض أمسكت القلم وأخرجتهم من رأسها إلى الورق. كم ساعة جلستها تكتب تلك الليلة من أكتوبر؟ حين رفعت رأسها من فوق الورق كانت الساعة الواحدة ظهر اليوم التالي ٥ أكتوبر ١٩٩٦ ثلاثة عشر ساعة كتبت فيها المسرحية دون أن تتحرك من مقعدها.

ليست سريعة، ثابتة فوق الأرض فيها ثقة. يرتدى خف في قدمه مثل البدو، له لحية طويلة، يتحدث بصوت هادئ وقور، تعلق ملامحه ابتسامة من يثق في كلامه وتأثيره على السامعين.

٤- سيدنا إبراهيم: هو أبو الأنبياء جميعا، يظهر كرجل عجوز في السبعين، يرتدى ملابس البدو الرجل، طويل نحيف، جسمه صلابة النحافة والجفاف، في صوته شئ من الحدة، يبدو عليه الإعياء والضجر.

٥- سيدنا رضوان: حارس الجنة، يشبه سيدنا إبراهيم إلا أنه في حوالي الأربعين من العمر، له صفات السكرتير الخاص لشخصية كبيرة هامة فهو الشخص الوحيد الذي يسمح لأي أحد بالدخول إلى حيث يكون الله سبحانه وتعالى. إنه حمل وديع رعديد أمام رئيسه الأعلى، وأسد على الآخرين الواقفين عند الباب يطلبون الدخول.

٦- ستنا حواء: امرأة شابة. ممشوقة الجسم وسيمة الوجه، خطواتها رشيقة، ترتدى ثوبا واسعا طويلا، شعرها أسود غزير تلفه حول رأسها على شكل ضفيرتين. حافية القدمين، صوتها عذب فيه رقة وقوة.

٧- السيدة مريم العذراء: تظهر كما في صورها في الكنائس.

٨- بنت الله: فتاة في الثامنة عشر، تشبه حواء، كأنما هي ابنتها، إلا أن شعرها مقصوص وفي قدميها حذاء يشبه أحذية راقصات البالية تمشي بخفة ورشاقة، قد ترقص أحيانا، ترتدى ثوبا قصيرا حتى الركبتين.

## عن شخصيات المسرحية الرئيسية:

١- سيدنا موسى: إنه نبي اليهود، يظهر داخل ملابس كاهن يهودي، قصير القامة، نحيف الجسم، عيناه صغيرتان غائرتان وأنفه كبير بارز مقوس قليلا، ظهره محني قليلا، يتلفت حوله في قلق وحذر، ويبلغ من العمر خمسين عاما، بشرته سمراء بلون قدماء المصريين، صوته أخنف قليلا، يرتدى حذاء جلديا أسود له كعب سميك، يدق به الأرض أحيانا حين يغضب. لا يبتسم إلا نادرا.

٢- سيدنا عيسى: إنه المسيح، نبي المسيحيين، يعتبرونه ابن الله، يظهر بصورته التي تنشر له، ويعرفها الجميع، الشاب الوسيم شعره بني طويل لحيته طويلة، بشرته بيضاء، ثوبه فضفاض، قدماء حافيتان، ظهره مرفوع، خطواته واسعة سريعة فيها إقدام عدم تردد، صوته قبل خطواته واضح قوى فيه حماسة الشباب.

٣- سيدنا محمد: إنه نبي المسلمين، يظهر داخل ملابس شيخ سعودي، طويل القامة، عريض الكتفين، وسيم الوجه، خطواته

٩- إبليس أو الشيطان: شاب في الثلاثين، شديد الوسامة، والجادبية، حمري اللون، شعره أسود غزير، يرتدى قميصا ملونا وسروالا واسعا، يمشى على الأرض بخفة ورشاقة، في قدميه حذاء من الجلد المطاط بدون كعب. صوته جميل، قد يغنى أحيانا ويعزف على آلة موسيقية قديمة تشبه العود.

١٠- الله أو «الرب» شيخ وقور جدا في الستين من العمر، شعره أبيض لحيته طويلة بيضاء، بشرته بيضاء، ملبسه واسعة بيضاء، لا يتحرك إلا قليلا من مكانه الذي يشبه كرسي العرش العظيم، يظهر من وراء ستارة خفيفة شفافة كالدخان بحيث لا نراه جيدا، وصوته منخفض شديد الوقار والبطء، لا يحرك رأسه إلا نادرا بإيماءة خفيفة أو يده يرفعها يكبرياء عظيم وقد يغضب بشدة.

## المسرحية المشهد الأول

المسرح مظلم تماما، صحراء واسعة، سيدنا موسى عليه السلام يمشى في الظلمة، يظهر الضوء عليه بالتدريج، يبدو عليه الإعياء والقلق، ظهره محني قليلا كأنما يحمل فوق جسده عبئا ثقيلا. يتوقف يتلفت حوله كأنما فقد معالم الطريق. يجلس ليستريح فوق صخرة رملية. يفتح كيسا به كتاب التوراة وخبز مقدد وجبن. يمضغ على مهل ويخاطب نفسه، بين يديه كتاب التوراة:

سيدنا موسى : مضى وقت طويل منذ التقيت به فوق جبل سيناء، وقد امتثلت أنا وقومي لأوامره بالحرف، كلمته في التوراة أصبحت هي العليا، قال لنا اقطعوا غرلة الذكر قطعناها، قال لنا اقتلوا أهل كنعان وفلسطين وخذوا الأرض قتلناهم وأخذنا الأرض. قال لنا أرحموا الزانية رجمناها، قال لنا أنا الرب الأعلى مالك السموات والأرض ولا شريك له وإن كان هو معبودكم المقدس العجل قلنا له سمعا وطاعة وحطمنا العجل. قال لنا



أنتم شعبي اختار الوحيد بين شعوب الأرض، قلنا وأنت ربنا المختار الوحيد بين الآلهة.

(يقرقش سيدنا موسى قطعة الخبز المقدد. يتلغ قليلا من الماء من قربة مصنوعة من جلد الماعز. يواصل حديثه لنفسه).

سيدنا موسى: مضى وقت طويل طويل منذ التقيت بك يا رب فوق جبل سيناء. هذا الجبل المقدس جزء من أرضنا الموعودة. أليس كذلك يا رب؟ ألم تقل لنا في التوراة يا رب أن أرضكم الموعودة تمتد من النيل إلى الفرات؟ لقد وفينا بعهدنا لك، قطعنا غزلة الذكر، جميع رجالنا تجرى لهم عمليات اختان بالقانون، لا أحد يفلت مهما اشتدت الحملات الطبية ضد هذه العملية الضارة، لقد ثبت ضررها طبيا يا رب لكننا نتلقى الأوامر منك وليس من البشر الأطباء أو غير الأطباء، فأنت معبودنا الوحيد إلى الأبد، وفينا لك العهد فلماذا لم توفينا بعهدك؟ أين هذه الأرض الموعودة من النيل إلى الفرات؟ حتى جبل سيناء فقدناه، لم يصبح لنا إلا الأرض فلسطين، وهي ليست كل فلسطين، أجزاء منها يا رب يستولي عليها الفلسطينيون اليوم تحت اسم تنفيذ قرار الأمم المتحدة. هل يعلو قرار الأمم المتحدة على قرارك يا رب؟ لماذا لا نسمع صوتك؟ أيمكن أن ألقاك يا رب كما لقيتك من قبل؟ أنا بحاجة إليك، فقد أوفدني قومي إليك وأخشى أن يعلنوا العصيان عليك ويعودوا إلى العجل الذهبي، إنهم يحبون

الذهب يا سيدي، ويقولون بالذهب نأخذ ما نريد، ولا نأخذ منك أنت وربك الأعلى إلا الكلام!

لا تؤاخذهم يارب واغفر لهم.

(يواصل سيدنا موسى قرقشة الخبز، يتطلع بعينه الكليلتين إلى السماء، إلى قمة جبل عال غارق في الظلام والدخان الأسود يتحرك من وراء الدخان شبح ضخم غامض الملامح. السماء ترمجر بالرعد والبرق، تهبط بعض الأمطار الخفيفة. يلجأ سيدنا موسى إلى كهف مظلم، يرقد داخله يتطلع إلى السماء. يواصل حديثه).

سيدنا موسى: أعرف يارب أنك غاضب على قومك بنى إسرائيل، لقد وقعوا تحت قبضة إبليس، إنه يوسوس لهم بالسلام، يقول لهم أعطوا الأرض مقابل السلام، هل هذا الكلام؟ إبليس وأنت تعرفه يارب، إنه لا يؤمن بكلامك، يقول للناس أنك أنت الذي أمرت بهذه المذابح البشرية من أجل الأرض الموعودة، وأصبحت الناس تنصت لوسوسة إبليس، لقد تعبوا يارب من الحروب المتتالية منذ إنشاء دولة إسرائيل إنهم مستعدون للانسحاب من بعض المدن الصغيرة في الضفة الغربية مقابل السلام، لكن لا يزال بين قومي رجال مخلصون لك حافظون لعهدك ومنهم ابنك البار بينامين، أعطاه أبوه نتانيا هو اسم النبي بينامين ليكون مخلصا لقومه إخلاص الأنبياء أي الاستعداد لقتل البشر جميعا من أجل تنفيذ كلمة الرب، إن كلمتك هي العليا، نحن نطيعك يارب ونتلقى منك

الأوامر وليس من الأمم المتحدة أو أى أحد من البشر  
وإن كان رئيس الولايات المتحدة بيل كلينتون!

(تهدا السماء قليلا، وفي الطريق البعيد في الطرف الآخر من المسرح  
يظهر سيدنا عيسى عليه السلام يتقدم بخطوات الشاب الممشوق المملوء  
شوقا لمقابلة أبيه «الرب الأعلى» بعد طول غياب. يتطلع نحو الجبل  
العالي الغارق في الظلمة والدخان وشبورة رمادية شبه سوداء. يتوقف  
قليلا شاخصا بوجهه نحو السماء يحمل في يده اليسرى، كتاب الإنجيل،  
يده اليسرى مرفوعة نحو أبيه فوق الجبل).

سيدنا عيسى: يا أبى ألا يرق قلبك لابنك المطيع الذى أراق دمه فوق  
الصليب من أجل تنفيذ أمرك؟ لماذا تبخل على بهذا  
اللقاء؟ أريد أن أرى وجهك أليس من حق الابن البار  
أن يرى أباه؟ ولو مرة واحدة في حياته أو في موته؟  
لقد جئت يا أبى كل هذا الطريق الطويل الشاق أطلب  
منك العون. إن قومي يا أبى ضلوا السبيل، أصبحت  
الكنائس خالية إلا من النسوة والعجائز والأطفال  
الرجال الأشداء والشباب انصرفوا إلى جمع الأموال.  
النساء من غير العجائز انضموا إلى حركات التحرير  
النسوية يسمونها «القيمانيست» هذه كارثة يا أبى،  
هؤلاء النساء يؤلفون كتبا خطيرة انتشرت بين الناس.  
لم يعد أحد يقرأ كتابك الإنجيل، ولم تعد هناك دور  
نشر متحمسة لإعادة طبعه إلا بعض الدور الصغيرة في  
بعض الجامعات، ومن أجل التدريس فقط في قسم  
الدين أو قسم التاريخ. تصور يا أبى أن كتابك لم يعد

إلا من مخلفات التاريخ القديم، لا يهتم به إلا  
الدارسون والنقاد، معظمهم نساء، هلكوا كتابك نقدا  
وأنت ساكت، هؤلاء النسوة أنت أمرتهم بالصمت لم  
يكن يطلع لهم صوت، لو أمرتني أن أعود إليهم  
سألبى الأمر. جئت أطلب منك العون؟ لماذا لا ترد  
على يا أبى! آه يا ابتاه! يا ابتاه! إنى أناديك، ابنك  
المعذب يناديك فهل تسمع النداء؟

(يدب الصمت في السماء. لا رعد ولا برق لا حركة واحدة لورقة  
شجرة. الهواء. ساكن السماء زرقاء بلون البحر بلا موجة واحدة. كتلة  
من الزرقة الصلبة الصماء. الأرض صفراء بلون رمال الصحراء الواسعة  
الممدودة تحت السماء. الكون كله ساكن سكون الموتى).

(يركع سيدنا عيسى فوق ركبته يمسك رأسه بين يديه  
وينشج بصوت خافت مكتوم): آه يا أبتي، آه هذا  
العذاب أقسى من العذاب الذى عشته فوق الصليب،  
ناديت عليك يا أبى من فوق الصليب فلم ترد على،  
وها أنت تواصل صمتك غير المفهوم. آه يا أبتي كم  
أشتاق إليك، وإلى ذراعى أُمى، أريد أن أبكى فوق  
صدرها وأطلب منها المغفرة، كم قسوت إليها. كم  
تجاهلتها من أجلك يا أبى، مع إنها هى التى ولدتنى  
وأرضعتنى وحمتنى من أعدائى، هى التى بقيت معى  
حتى آخر لحظة من حياتى وبعد أن هرب الجميع من  
حولى، بعد أن تخلى عنى الجميع بما فيهم أنت يا  
أبى، لماذا تركتني هكذا وفسوق الصليب أنزف الدم

حتى آخر قطرة، أه يا أمي!! يا أماه إغفري ذنوب ابنك،  
لكني يا أمي لم أكن أدرك وجودك، لم أكن أسمع  
صوتك، كان أبي يأمرك بالصمت، ويتكلم هو بدلا  
منك، وكنت أنا صغير السن أسمع كلام أبي، ولا  
أسمع كلامك، كان يقول لي لا تسمع كلام النسوة،  
نعم يا أبي أنت قلت لي هذا وأكثر من هذا، ومعنى  
كتابك يشهد على كلامي، هاهو كتابك.

(يمسك سيدنا عيسى الإنجيل بين يديه المتفضتين بالانفعال، يفرد  
صفحاته بأصابع طويلة مرتعشة، وتبدأ السماء في الزمجرة، يسمع صوت  
الرعد من فوق الجبل، تهبط الأمطار ويلجأ سيدنا عيسى إلى الكهف  
حماية من المطر، وهناك يجد سيدنا موسى قابعا يحوط ركبتيه بذراعيه  
ويقرأ في التوراه. يتعانقان كالأخ يعثر على أخيه).

سيدنا موسى: سمعتك يا أخي عيسى وأنت تطلب مقابلة ربنا الأعلى.  
هدىء من روعك. خذ إشرب قليلا من الماء (يناوله  
القربة) أنا أعرف كل شيء عن الكارثة التي تعيشتها،  
وسوف ينصرك الله يا أخي على أعدائك النساء  
والرجال أيضا، ولكن عليك بالصبر، لقد صبرت قرونا  
طويلة فلماذا لا تصبر يوما أو يومين، لقد طلبت أنا  
أيضا مقابلة الرب الأعلى، أرسلت طلبا بالفاكس إلى  
سيدنا رضوان عليه السلام.

سيدنا عيسى (في دهشة): بالفاكس؟ أتظن أن هناك فاكس في  
الملكوت الأعلى؟

سيدنا موسى: بالطبع يا أخي: إن ربنا يملك شجرة المعرفة كلها أتظن

أنه لا يعرف الفاكس وغير ذلك من اكتشافات  
البشر؟! عليك يا ابني أن ترسل طلبا للمقابلة  
بالفاكس والا فلن ينظر سيدنا رضوان في أمرك.

سيدنا عيسى: هل عندك رقم الفاكس؟

سيدنا موسى: نعم، هاهو، (يخرج من بين صفحات التوراة قصاصة  
ورق صغيرة كتب عليها رقم طويل جدا) ينقله سيدنا  
عيسى إلى مفكرة صغيرة في جيبه.

سيدنا موسى: هذا الرقم سرى لا تعطيه لأحد، أرسله إلى الله مع الملاك  
الظاهر وأنا راقد في الكهف، وقال لي الملاك إن الله  
يخصك برقمه السرى أنت وبنى إسرائيل لأنكم شعبه  
الختار.

سيدنا عيسى: أرجوك يا أخي موسى لا داعي لحكاية الشعب الختار هذه،  
لأن الله هو أبي، وأنا ابن الله وقومى هم شعب الله  
الختار.

(يشد سيدنا موسى الورقة من يد سيدنا عيسى غاضبا قبل أن ينقل  
الرقم كله إلى مفكرته).

سيدنا موسى: طيب يا أخي خلى أبوك يعطيك رقمه!

أنت دائمنا هكذا أنت وقومك تضربون اليد التي تقدم إليكم  
المساعدة.

سيدنا عيسى (بكبرياء): أي مساعدة؟ نحن الذين نقدم إليكم  
المساعدات والمعونات. إن دولتكم كلها يا أخي لم تقم  
إلا على أكتافنا. ألم نمدكم بالأسلحة لتقتلوا أهل  
فلسطين والعرب؟ حتى السلاح النووي الذي نحرمه

على الجميع إلا أنتم ونحن، وكنتم مشردين في العالم  
فجعلناكم دولة مثل الدول الأخرى، رغم أن دولتكم  
لم تقم إلا على إراقسة الدم ولا تزال تريق الدم رغم  
اعتراضاتنا، ماذا تريدون يا أخ موسى أكثر مما أخذتم؟  
أتريدون الأرض الموعودة من النيل إلى الفرات؟! هذا  
طمع وجشع زائد على الحد!

سيدنا موسى: يا إبنى أنت شاب غرير مغرور تتصور أنك مركز الكون،  
إن دولتنا إسرائيل يا سيدي قامت بأمر الله وليس بأمر  
البشر، وإذا كنتم تساعدونا فهذا من أجل مصالحكم  
في الشرق الأوسط، لولا وجودنا في المنطقة يا أخى لما  
أصبح لكم وجود فيها. هذا العراك يا إبنى بيننا لا فائدة  
منه لكم أو لنا. لن يستفيد منه إلا أعداؤنا المسلمون  
خذ يا إبنى لقمة صغيرة لا بد أنك جائع بعد هذا  
المشوار الطويل.

(يقرقشان معا الخبز المقدد، ويردد سيدنا عيسى آية الإنجيل بصوت  
خافت: خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن أيضا  
للمذنبين إلينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك  
والقوة والمجد إلى الأبد آمين.)

في الطريق البعيد من الطرف الآخر للمسرح يظهر سيدنا محمد  
يسير بخطوة وثيدة، ينظر أمامه، في يده كتاب الله القرآن، وفي اليد  
الأخرى سبحة، يحركها بين أصابعه بهدوء، يتقدم بضع خطوات ثم  
يتوقف يتفقد الطريق.)

سيدنا محمد: تغيرت معالم الطريق منذ سرت فيه آخر مرة. كل شئ  
يتغير ولا دوام إلا لله سبحانه وتعالى. كان هذا الطريق

يقود إلى المدينة المنورة، وكان هنا كهف دلنى الله إليه،  
ما أن دخلت الكهف حتى أمر الله العنكبوتة أن تسرع  
إلى الباب وتنسج فوقه خيوطها. جاء الكفار رأوا  
خيوط العنكبوت على الباب فأدركوا أن الكهف لم  
يدخله أحد. ساروا في طريقهم ما أن اختفوا حتى  
خرجت من الكهف. هكذا نجاني الله من الموت بسبب  
تلك العنكبوتة الصغيرة. لولا هذه العنكبوتة ما وصلت  
سالما إلى المدينة المنورة، وما قامت دولة الإسلام،  
سبحان الله مالك السماوات والأرض لا شريك لك  
تعرف ما في الصدور، وتعرف لماذا جنت إليك اليوم  
يارب أطلب العون، كانت دولة الإسلام والعرب تمتد  
من بلاد الفرس إلى ما بين النهرين إلى الشام ومصر  
وبلاد المشرق حتى بلاد المغرب إلى الأندلس في  
أسبانيا، لكن أحوال المسلمين ساءت وحكوماتهم  
فسدت وتقلصت دولة الإسلام ولا تزال تقلص  
وأخشى أن تنتهى تماما من فوق الأرض. أصبح  
المسلمون والعرب في مؤخرة البلاد، يسمونها البلاد  
المتخلفة، مع أن حضارة الغرب قامت على حضارتنا،  
وقد منحت يارب أمتنا العربية خيرات كثيرة، فهي خير  
أمة أخرجت للناس كما ذكرت في كتابك الكريم،  
وأهم هذه الخيرات هو البترول بالطبع، لكن هذا  
البترول تحول من سلاح في أيدينا إلى سلاح في يد  
أعدائنا، إبليس يوسوس في آذان الناس ويقول لهم:  
أين ربكم الأعلى يا معشر المسلمين، لماذا ينتصر  
عليكم اليهود والنصارى في كل المعارك. معركة وراء

معركة تتهزمون وتضيع الأرض والمال والبنون، مع أنكم أكثر الناس تمسكا بدينهم، وتمسكا بالأخلاق والفضيلة، ونساؤكم صالحات محجبات، أما النساء النصارى واليهود فهن كاسيات عاريات، أعوذ بالله لم يصل الفساد في بلادنا إلى هذا الحد وقد جنت إليك اليوم يارب أطلب المشورة في مشكلة حادة لا تقبل التأجيل. هذه الأسرة المالكة لأرض الحجاز، بني سعود، هؤلاء اشتد فسادهم في الأرض، إن ملكهم يطلق على نفسه اسم خادم الحرمين الشريفين إلا أنه لا يخدم إلا نفسه، حتى القبر الذي دفنوني فيه أصبح مهملا، هناك جدار يوشك على السقوط، مع أنه لا يكف عن بناء القصور لنسائه وأولاده، وهو يجمع الأموال من الحجاج لبيت الله الحرام، ومن عوائد البترول، ويودعها باسمه في بنوك النصارى واليهود. إنه يتفاوض مع اليهود والنصارى سرا يتآمر معهم ضد المسلمين، ثم يذهب إلى الجامع ليصلى دون وضوء، إنه يارب يشوه صورة الإسلام في العالم، ويقول إنك الذي منعت النساء من قيادة السيارات وأنتى قلت في حديث، وأنا لم أقل هذا، ولم تكن السيارات قد اكتشفت بعد على أيامي، وكانت النساء تتركب الإبل، وما الفرق بين الإبل والسيارات يارب؟ على الأقل السيارة لها سقف يحمى المرأة من العواصف والأمطار وقطاع الطرق، لكن الإبل بلا سقف. وقد انتهز إبليس الفرصة وراح يوسوس في آذان النساء. لكن النساء في بلادنا لا

ينصتون لوسوسة الشيطان. إنهن صالحات فاضلات ولسن مثل نساء اليهود والنصارى.

المشكلة في بلادنا يارب هم الملوك، إن الملوك إذا حكموا قرية أفسدوها، وقد زرت ملك السعودية في نومه وقلت له: إسمع يا فهد إن الله ينهك عن الفساد، أنت تكتنز الذهب الفضة والمسلمون. لكنه في الصباح غير الحلم، وقال أنتى زرتة في المنام لأبلغه أنا راضون عنه وعن أعماله، وأنتى قلت له الصلح خير مع بنى إسرائيل، فهم أهل الكتاب وقد أرسل الله التوراة والإنجيل هدى للعالمين. وقد جنت إليك يارب أطلب العون ضد طغيان هذا الملك السعودي. والذي جعل من بلاده قاعدة عسكرية لجيوش الأعداء ضد المسلمين وأخشى على أمتى الانقراض.

(يجلس سيدنا محمد على صخرة صغيرة، يبدو عليه الإعياء من طول الطريق الشاق. يتيمم بالرمال، ثم يقف بين يدي الله يصلى، يركع ويسجد أربع ركعات وسجديات ثم يجلس، يحرك حبات السبحة بين أصابعه وهو صامت شاخص نحو السماء).

(في الكهف سيدنا عيسى وسيدنا موسى جالسان يتابعان من بعيد سيدنا محمد بعد أن استمعا إلى كل ما قال).

سيدنا موسى: أتصدق أن الله قال لهم أنهم خير أمة أخرجت الناس؟ هذا كذب وافتراء على الله، وانظر ماذا قال عن اليهود والنصارى. هذا الرجل هو العدو الخطير، علينا القضاء عليه قبل أن يقضى علينا.

الأعمال الكاملة. المسرحيات

سيدنا عيسى: يا أخى موسى إهدأ ولا تجعل الغضب يسيطر عليك. إن محمد يعترف بنا وأنا أهل الكتاب، يؤمن أن التوراة والإنجيل هى كتب الله، وهو أفضل من غيره الذين ينكرون التوراه والإنجيل تماما، ويمكن التفاوض معه.

سيدنا موسى: نتفاوض معه؟ على ماذا يا أخ عيسى؟ نحن فى غير حاجة إليه ولا إلى قومه المسلمين. إنهم الآن بلا حول ولا قوة. لا أموال عندهم ولا أسلحة ولا علوم ولا تكنولوجيا.

سيدنا عيسى: لكننا فى حاجة إليه يا موسى.

سيدنا موسى: ما فائدته؟

سيدنا عيسى: سوف يكون معنا ضد إبليس لاشك.. فأنا أعرف أن إبليس يعرف بلقائنا هنا. لاشئ يخفى عليه. قد يستطيع أيضا أن يحظى بمقابلة أبى. وأنا أعرف أن أبى يحرص على وجود الشيطان دائما. لا يتصور أبى الكون بدون شيطان.

سيدنا موسى: لماذا يا أخى؟

سيدنا عيسى: عليك أن تسأله هو هذا السؤال، فهذا الإبليس أنا أتمنى له الموت إلا أنه لا يموت أبدا، إنه يعيش، نحن الذين متنا وشبعنا موتا.

(السماء تبدأ فى الزمجرة. فى الطريق البعيد يظهر إبليس قادم بحركته الشابة النشيطة. سيدنا محمد ينهى الصلاة حين يبدأ المطر يتساقط فوق رأسه. يلم ملابسه من حوله ويسرع باحثا عن مكان يلجأ إليه. يعثر على الكهف. يرحب به سيدنا عيسى، وسيدنا موسى يظل صامتا).

الإله يقدم استقالته فى اجماع القمة

سيدنا عيسى: يا أخ محمد، أنت فى أمان هنا مع أخويك عيسى وموسى.

سيدنا محمد: أهلا بك يا أخ عيسى ابن السيدة الطاهرة مريم، لك عندنا معزة كبيرة، وأنت أيضا يا أخ موسى لقد ذكر الله اسمك فى القرآن مائة وثلاثين مرة.

سيدنا موسى: مائة منها لعنات بالطبع.

سيدنا عيسى: انظروا من القادم؟! إنه إبليس!

سيدنا محمد: وهناك امرأتان تقبلان من الطريق الآخر، من هما؟

سيدنا موسى: واحدة منهما تشبه حواء. والأخرى لا أعرفها.

(من الناحية الأخرى للمسرح تظهر بنت الله وحواء، تسييران معا قامتاهما متقاربة طويلة ممشوقة، إلا أن وجه بنت الله لفتاة صغيرة فى الثامنة عشر، ووجه حواء امرأة ناضجة شابة فى الأربعين).

(يختبان وراء شجرة تين شوكى حين يريان إبليس من بعيد.. إبليس واقف شاخص إلى الجبل حيث الرب الأعلى اختفى وراء السحب والدخان).

إبليس: أنا خلاص يارب تعبت من الوسوسة فى آذان الناس، قررت أخيرا أن أقدم استقالتي إليك. لقد وجدت عملا آخر يدر على أموالا كثيرة، فهذا العمل الذى أوكلته إلى يارب قد أهلكنى ولم آخذ منه إلا اللعنات لهذا كتبت استقالتي، كان يمكن أن أرسلها إليك بالفاكس، لكنى آثرت انجئى بنفسى إليك، لتصافح ونسى هذا الماضى البغيض الذى جعلتنى فيه عدوا لك.

(يخرج إبليس من جيبه ورقة يقرأها): أنا الموقع أدناه  
باسمى إبليس الشيطان، والذي كان فى الأصل  
«لوسيفر» حامل النور وهو الاسم الذى أعطته لى أمى  
أعلن أننى أستقيل من المنصب الذى وضعنى فيه الرب  
الأعلى، وهى استقالة مسببة إن شاء الرب أن يفحص  
الأسباب، وكل ما ما أطلبه من الله، أن يبحث عن  
شيطان آخر.

إمضاء لوسيفر

ينادى إبليس: يا أخ رضوان، يا حارس الجنة، بلغ رئيسك الأعلى أننى  
أريد مقابلته دقائق، أنا أعرف أنه مشغول، وأرى اللمبة  
الحمراء معلقة على بابى، لكن أخبره أن إبليس  
الشيطان يطلب لقاءه للمرة الأخير بعد ذلك لن تروا  
وجهى. هذه استقالتى!

حواء و بنت الله تتوقفان عن السير، يراهما إبليس فيقبل نحوهما  
مرحبا.

إبليس: أهلا حواء، وأنت لا أعرفك يا فتاتى من أنت؟

بنت الله: أنا بنت الله.

يتلقى إبليس هذا الاسم بدهشة شديدة، لكنه يضحك بشدة ويخبط  
كفه بجهته.

إبليس (ضاحكا): هذا أجمل اسم أسمعته، من أعطاك هذا الاسم  
الجميل يا فتاتى؟

بنت الله: المؤلفة

إبليس: يالها من امرأة! أنا إبليس لم يخطر لى أبدا أن الله

يمكن أن يلد البنات. لقد أعلن فى كتابه التوراة أنه  
ليس عنده إلا الأولاد الذكور، الذين تزوجوا بنات  
الناس بعد رأوا أنهم حسنة. هل قرأت هذه الآية فى  
التوراة يا فتاتى؟

حواء: إن هذا التاريخ الوارد فى التوراة كله مغلوطة، فأنا حواء

بلحمها ودمها وأمى ولدتنى فى الحقل وكانت تزرع  
حين أحست آلام الولادة، فما هذه القصة المغلوطة عن  
زوجى آدم الذى ولدتنى من ضلعه؟! كانت أمى قد  
زرعت فى وسط الحقل شجرة تفاح، أراد ربك الأعلى  
أن يستولى على الثمار وحده، تعاون مع زوجى على  
طردى من الحقل، حرضه على خيانتى مع امرأة أخرى  
مقابل بعض المال، أشاع أن الشجرة مقدسة، من  
يأكل منها يموت، أكلت منها كثيرا دون أن يصيبنى  
شئ، هل يموت أحد من أكل التفاح يا إبليس؟

إبليس: التفاح يا سيدتى ألد الثمار إنه يشرح القلب ويشفى

المرض، وكم تسلت فى الليل وسرقت الثمار من فوق  
الشجرة دون أن يراى الرب الأعلى.

(هنا بدأت السماء تزمجر بالبرق والرعد والمطر. وظهر سيدنا رضوان  
من فوق قمة الجبل، يظهر بالتدريج من وراء السحب والدخان).

سيدنا رضوان: يا أهل الأرض، تعطف جل جلاله ربكم الأعلى وسمح  
لكم باللقاء معه. ليس عنده وقت كئى يقابلكم واحدا  
واحدا فهل تصعدون جميعا فى وقت واحد؟! وصلتني  
أسماءكم كلها بالفاكس، وكان مزاج سيدى رائقا،

كان يشرب الشاي بالنعناع بعد وجبة دسمة من الضأن المشوى، بالمناسبة هل أتيتم بذبائح؟! إن سيدى لا يقبل إلا الضأن، أو الكندوز الصغير أو البتلو، أما الذبائح الأخرى فهو لا يقبلها، ومن يأت بذبائح فليعود من حيث أتى، ليس عندنا وقت لمن يأتون بأياد فارغة!

(يتقدم سيدنا موسى): نعم يا أخ رضوان، أنا جئت بخروف من النوع الذى يحبه سيدك الأعلى.

(يتقدم وراءه سيدنا عيسى): إنه أبى يا أخ رضوان لا يطلب الأب من الابن أى ذبائح.

سيدنا محمد: وفى كتابه القرآن الكريم لم يطلب الله منا أى ذبائح يا أخ رضوان، وها هو الكتاب فى يدي.

حواء: وأنا امرأة فقيرة وسيدك الأعلى يقول أنه مع الفقراء.

بنت الله: وهو أبى الإمام تزوج أمى ومعى الدليل المادى.

إبليس: وأنا إبليس يا رضوان لا يمكنك أن تمنعنى من الدخول لا أريد شيئا إلا الاستقالة من منصبى.

(فى تلك اللحظة يأتى سيدنا إبراهيم بخطى سريعة، يلحق بالموكب الداخلى إلى مقابلة الرب الأعلى).

سيدنا إبراهيم: وأنا يا رضوان أبو الأنبياء جميعا وجئت فى مهمة عاجلة أود إنجازها قبل أن أموت.

(يدخل بعد سيدنا إبراهيم عدد من الرجال والنساء والأطفال من الشعب العادى. يدخلون ولا يستطيع سيدنا رضوان أن يغلِق الباب أمام أعدادهم الكبيرة).

## المشهد الثانى

الرب الأعلى جالس على العرش العالى يشبه عروش الأباطرة، الكرسى الذهبى المذهب والفرش الوثير، والأرائك المريحة تتدلى فوقها عناقيد العنب. عرش فاخر من الأبهة وصاحب العرش يرتدى ملابس الأباطرة من حوله الجنود واقفين صفا صفا. أحد الجنود يمسك مروحة من ريش النعام يهوى بها على رأس صاحب العرش. على البعد هناك بحيرة من الماء وجداول، وأنهر من الخمر وفتيات عذراوات حسناوات جمالهن فائق مثل الحور العين فى الجنة، إلا أننا لا نرى هؤلاء الفتيات إلا من بعيد جدا ومن وراء ستائر شفافة السحب والدخان، وكذلك نرى ثمار الفاكهة حمراء اللون تتدلى من الشجرة الكبيرة.

الأرض مفروشة بسجاد سميك من النوع العجمى، يجلس عليه البشر الذين دخلوا لمقابلة الرب الأعلى، عن يمين العرش يقف سيدنا رضوان الذى يتولى الرد على الأسئلة نيابة عن صاحب العرش، إلا إذا أشار له سيده بيده فيصمت تماما، ويتولى الرب الأعلى الإجابة بنفسه.

الصمت يدب والمشهد فيه رهبة كبيرة. يتربع سيدنا موسى على الأرض فى أدب جم إلى جواره سيدنا عيسى إلى جواره سيدنا محمد، ثم سيدنا إبراهيم. بنت الله وحواء تجلسان فى الناحية الأخرى، إلى



جوارهما إبليس، والإلهة إيزيس، ومريم عذراء، لا يسمع إلا صوت مروحة ريش النعام في يد الجندي تتحرك بركة تطرى الهواء حول رأس صاحب العرش. ثم يسمع صوت دقات مطرقة، ثلاث دقات، تعلن بدء الجلسة، كأنما هي محكمة.

سيدنا رضوان: من فيكم يريد أن يبدأ، ونرجو الاختصار مع التركيز لأن وقت سيدى الأعلى ضيق.

(يتهاشم سيدنا موسى وعيسى ومحمد وإبراهيم).

سيدنا محمد: تقدم يا سيدنا إبراهيم أنت أبونا جميعا ولا يحق للأنياء أن يتكلموا قبل الأب.

(ينهض سيدنا إبراهيم ويقرب من العرش فى خشوع).

سيدنا إبراهيم: يا سيدى الرب إن ضميرى يعذبنى وأخشى أن أموت قبل أن أفصح عما فى نفسى، لقد فعلت فى حياتى كثيرا من المظالم، وكلها تنفيذا لأوامرك، قتلت ونهبت أراضى الناس دون وجه حق، لكنى أمنت بك وبنيت لك المذبح والبيت، وجعلت سارة زوجى تذبح لك عجلا كلما جئت إلى بيتنا، وتضع لك خبزا من دقيق وسمن ونضع الشحم على النار لتشم منه رائحة الشواء وجعلنا لك بساطا من أبرشيم دقيق الصنعة كما طلبت منا خوانا من خشب الشمشاد وكنت أقف أمامك وأنت تأكل تحت الشجرة، وأنتقى لك الحسنات الحور لأنك كنت تغضب وتقول:

مالكم تقربون إلى كل عرجاء وعوراء. نعم يا سيدى

نفذت أوامرك بالحرف وكنت أحيانا أراجعك عن القتل وأسألك أنتقتل الآلاف لأن رجلا واحدا منهم لم يعبدك؟ لكنك لم تسمع كلامى، كنت تسمع نفسك فقط، تعبد ذاتك، وتجعلنا عبيدك، تفرض علينا الطاعة العمياء دون سؤال، أعطيت نفسك الحق أن تفعل أى شئ وكان يجب أن تلزم نفسك بالعدل، وتلزمى بالعدل أنا رسولك إلى الناس، لكنك جعلت منى قاتلا بلا ضمير وخائنا بلا أخلاق، أمرتنى أن ألقى زوجتى الحبيبة هاجر وطفلى إسماعيل فى الصحراء لتأكلهم الضباع أو يموتوا من الجوع والعطش، لم ترحم امرأة فقيرة ومولودها الصغير من أجل مساندتك لسارة زوجتى الأولى، هى التى أشارت على أن أتزوج جاريتها هاجر، قالت لى أنا امرأة عاقرة عجوز وأنت فى حاجة إلى نسل يخلفك، ثم نهشتها الغيرة بعد أن تزوجت هاجر وأنجبت ابنى إسماعيل، وقد أمرتنى أن أنفذ رغبة سارة، وألقى هاجر وإسماعيل فى العراء، وكنت أعرف أنك ظالم، وأنت تقف بجانب سارة لأنها تملك الكثير من رؤوس الضأن، وتذبح لك حين تأتى إلينا وتخبز الدقيق والسمن تفرش البساط من أبرشيم واخوان من خشب الشمشاد، لكن هاجر الجارية لم تكن تملك شيئا، وقد غضبت عليها مجرد أنها فقيرة كما غضبت على قابيل ابن أبى الكبير آدم حين قدم لك من ثمار الأرض قربانا، فأشحت عنه بوجهك ونظرت إلى أخيه هايل الذى قدم لك من

أبكار غنمه ومن سمانها، واغتاظ قابيل وسقط وجهه.  
يا سيدي أنت زرعت الحقد بين الأخوين الشقيين لجرد  
أن أحدهما يقدم لك الغنم والآخر لا يملك منها شيئا.  
الإثنان قريبا إليك القربان فتقبلت من أحدهما ولم  
تقبل من الآخر. قتل الاخ أخاه بسبب ما فعلت يا  
سيدي. أنت مسئول عن هذه الجريمة لكنك ألصقتها  
بقابيل الفتى المسكين الذى لم يكن إلا أداة لك، وهذه  
الأرض الموعودة يا سيدي التى روتها الدماء البرينة،  
ولم يكف من أجلها سفك الدماء حتى اليوم. هل  
تتابع يا سيدي أخبار العالم اليوم؟ ألا تفرقك هذه  
الدماء المسفوكة باسمك وباسم أرضك الموعودة  
بإبراهيم ونسله من بنى إسرائيل؟ مقابل ماذا وعدتني  
بهذه الأرض يا سيدي؟ أيمكن أن ترد على بكلمة  
واحدة. قبل أن أموت! أرجوك تكلم، أسعفتني فالعالم  
كله يأكل وجهي، وضميرى ينخس مثل الإبرة فى  
صدرى، فأنا لا أعرف ما هو السبب وراء هذه الأرض  
الموعودة وما هو ذلك العهد الذى كان بيننا يا سيدي؟  
أكان عهدا سريا؟ لماذا لا تتكلم؟! هذه محكمة علنية  
أمام الناس وأنا أريدهم أن يحكموا بيننا بالعدل، من  
المسئول عن سفك هذه الدماء أنا أم أنت؟ ومقابل  
ماذا وعدتني بهذه الأرض، أهى رؤوس الغنم ولحم  
الضأن المشوى يا سيدي!؟

(هنا يرفع الرب الأعلى يده علامة الاعتراض يبدو على ملامح وجهه

شيئا من الغضب، لكنه غضب محكوم يتناسب مع السيادة العليا).  
الرب الأعلى (بغضب بارد): لا! كفى! أسكتوه!  
(يصمت سيدنا إبراهيم راكعا فوق الأرض. يدب الصمت فى المكان  
لا يسمع إلا صوت مروحة ريشة النعام. أحد الجنود يمسح العرق من  
فوق جبهة الرب الأعلى بقطعة معقمة من الشاش المغموس فى ماء  
الكولونيا داخل قنينة من الفضة).

(أحد الموظفين فى البلاط يجرى بسرعة حاملا كتب الله الثلاثة إلى  
سيدنا رضوان عليه السلام. يفتح رضوان الكتاب الأول وهو التوراة.  
يشرب قليلا من الماء من إناء بللورى. يتنحى ثم يقول بصوت رخيم  
هادئ كصوت القضاة من البشر. فى يده مطرقة لها رأس ذهبى يشبه  
رأس «الكوبرا» يدق بها على منضدة من الفضة أمامه حين تسرى  
الهمهمة والهسيس بين الناس. فقد دخل إلى القاعة بعض المارة فى  
الطريق من الفقراء والفقيرات الساعين إلى أعمالهم منهم فلاحون  
وفلاحات وعمال وعاملات مصانع وجنود وطلبة ومومسات وحلاقين  
صحة ممن يمارسون عمليات الختان وأطباء ممن يمارسون عمليات  
الأجهاض وأصحاب بنوك ومرابين وتجار ووزراء فى حكومات ورؤساء  
دول وغير ذلك من المهن المعروفة المختلفة. كلهم جالسون على البساط  
العجمى فوق الأرض. قد نلمح بعض الوجوه المعروفة فى التاريخ من  
كبار الفنانين أو الفنانات من الأموات أو الأحياء وكذلك ملوك وأباطرة  
ورؤساء دول من الموتى ومن المعاصرين. منهم الملك فاروق ملك مصر.  
أنور السادات. أبو الهول. رونالد ريجان. جورج بوش. كليوباترة  
وأنتونيوس، نفرتىنى واختاتون. أم كلثوم مطربة الشرق. رابعة العدوية  
كارل ماركس. سيجمون فرويد. وغيرهم من الرجال والنساء المعروفين

الأعمال الكاملة. المسرحيات

في الشرق والغرب. ترى أيضا «حواء» وبنت الله وسط هذه الوجوه، وهما جالستان متجاورتان ضمن الصفوف الأمامية. تسرى المهمة بين الناس، تقرب حواء رأسها من بنت الله.

حواء: أتعرفين مقابل ماذا وعده بالأرض؟

بنت الله: مقابل ماذا؟

يدق سيدنا رضوان بالمطرقة لإيقاف المهمة بين الناس.

يدب الصمت.

سيدنا رضوان: سيدى الأعلى قد أنابتى عنه لأتولى عنه الرد على السيد إبراهيم، وحسب توجيهات السيد الرئيس سأقرأ عليكم من كتابه الكرم التوراه النص الخاص بالأرض الموعودة للسيد إبراهيم ذلك أن هذه الخكمة هي ساحة العدل الأعلى لا تعلوها ساحة ولا يمكن الحكم دون الرجوع إلى النصوص المقدسة فى الكتب السماوية.

(يرتدى سيدنا رضوان نظارة النظر، لها سلسلة ذهبية تتدلى فوق صدره، يشرب قليلا من الماء).

سيدنا رضوان: «يفر الصفحات فى كتاب التوراة»: نعم أيها السادة، إنى أبحث عن هذه الآية الخاصة بأرض الميعاد، نعم، ها هي: «ويقول الرب لإبراهيم: أنا الرب أعطيك هذه الأرض لثريتها لتسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات».

يمد سيدنا رضوان يده إلى الكوب ويشرب قليلا من الماء. أحد

الإله يقدم استقالته فى اجتماع القمة

الوجوه فى القاعة من الجمهور يضع له عين واحدة والعين الأخرى مغطاة بغطاء أسود مستديرا يرتدى بدلة عسكرية. يفرك يديه فى سعادة ويهمس فى أذن جاره، له وجه بنيامين نيتانياهو رئيس حكومة إسرائيل.

الرجل ذو العين الواحدة (فى سعادة): أرايت يا بنيامين! أمامنا حرب كبيرة لإبادة شعب مصر وشعب العراق! كلمة الرب الأعلى مقدسة فى كتابه التوراة، ونحن يا سيدى قصرنا فى حق الرب ولم نصل إلا نهر الأردن مع أنه أعطانا الأرض من النيل إلى الفرات!

بنيامين نيتانياهو (يهز رأسه بالإيجاب): نعم نعم معك حق يا شيمون.

(فى الصف أمام بنيامين نيتانياهو يجلس رجل أمريكي له وجه بيل كلينتون رئيس الولايات المتحدة. يستدير بنصف رأسه إلى الوراى ويخاطب بنيامين بصوت هامس).

بيل كلينتون: أرجوك يا بنيامين، أرجو أن تؤجل كل شئ أسبوعين فقط حتى أنتهى من المعركة الانتخابية، هذا لرجل «بوب دول» لا بد من الانتصار عليه وإن ساعدتني اليوم أساعدك غدا ونحن إخوة.

(يدق سيدنا رضوان بالمطرقة فيسود الصمت فى القاعة. يرتفع صوت فتاة صغيرة من وسط الناس).

صوت الفتاة: هذه الأرض كلها من النيل إلى الفرات أعطها ربنا لبنى إسرائيل. لماذا؟

(ترتفع أصوات فتيات وأطفال ونساء ورجال فى القاعة الكبيرة ويقولون فى نفس واحد).

صوت الجمهور: لماذا؟ لماذا؟ ليه؟ ليه!

(يدق سيدنا رضوان بالمطرقة بشدة)

سيدنا رضوان: لأنهم شعب الله المختار، وها هو سيدي الأعلى ينص على ذلك في كتابه التوراة.

(يرفع سيدنا محمد يده وهو جالس في الصف الأمامي مع الأنبياء والشخصيات الهامة. ينهض واقفا ليتكلم دون أن يأذن له سيدنا رضوان بالكلام).

سيدنا محمد: يا سيدنا رضوان شعب الله المختار ليس هم اليهود، نحن العرب خير أمة أخرجت للناس، هذا هو النص في القرآن الكريم.

سيدنا رضوان يترك التوراه، يمسك كتاب القرآن، يفر الصفحات يتوقف عند صفحة يقرأ منها.

سيدنا رضوان: لا يا سيد محمد، أنظر في القرآن تجد أن الله يقول لبنى إسرائيل إني فضلتكم على العالمين. لم يقلها مرة واحدة بل عدة مرات، راجع القرآن يا سيد محمد.

سيدنا محمد: نعم يا أخ رضوان، أعرف أن الله ذكر ذلك في القرآن، فإني بنى إسرائيل من أهل الكتاب مثل النصارى أنهم مؤمنون بالله وليسوا مثل الكفرة عبدة الأوثان. وقد طلب الله منا أن نؤمن بكتبه الثلاثة أنزلها جميعا هدى ونورا للعالمين، لكنى أنا آخر الأنبياء والقرآن هو كلمة الله النهائية وقال الله لنا نحن خير أمة أخرجت للناس، وقد تمرد اليهود كثيرا على الله سبحانه وتعالى وعبدوا آلهة آخرين منهم العجل.

(تسرى ضحكات مكتومة في القاعة بين الجمهور، خاصة بين الأطفال وتلاميذ المدارس والتلميذات، وكان لهم ركن بعيد في القاعة.

أحد الأطفال (يضحك بشدة): العجل؟ معقول؟!

(سيدنا رضوان يدق بالمطرقة).

سيدنا رضوان: ياسيد محمد أنا لم أعطيك الإذن بالكلام، أرجوك انتظر دورك. الكلمة الآن للسيد موسى تفضل يا سيد موسى:

(قبل أن يتكلم سيدنا موسى ترفع «بنت الله» يدها وتتكلم بعد أن تنهض من مكانها).

بنت الله: لم نعرف الرد يا سيدنا رضوان على حكاية هاجر وطفلها إسماعيل، وأيضا حكاية الأرض من النيل إلى الفرات. ولماذا أمر الله بنى إسرائيل أن يقتلوا كل السجينات غير العذراوات من شعب كنعان وفلسطين ثم يوزعوا السجينات العذراوات على الجنود لاغتصابهن جنسيا؟!

(يدب الصمت في القاعة. يطرق الجمهور في حياء. تسرى همهمة وهسيس بين الجالسين والجالسات. تنهض حواء وتتكلم).

حواء: يا سيدي رضوان هذا الطفل إسماعيل وأمه هاجر لقيا الأهل في الصحراء حتى وصلا المدينة واشتغلت هاجر في الأرض وشقيت لتعول ابنها، لكن ما إن كبر الابن حتى عاد إليه أبوه إبراهيم يريد انتزاعه من أمه بالقوة، رفضت الأم ورفض الابن، فإذا بربك الأعلى

يأمر إبراهيم أن يذبح ابنه. ألم تكن عندك وسيلة  
لإرضاء ربك يا إبراهيم سوى ذبح ابنك؟

(يرفع سيدنا إبراهيم رأسه المطرق بين ركتيه. تبدو عليه الشيخوخة  
والإعياء).

سيدنا إبراهيم: كان الرب يطلب منا ذبائح. في كل مرة نطلب منه  
مساعدة لئلا نأخذ أن نقدم له ذبيحة كان الرب يبتهج  
برائحة لحم الضحية. كان الفقراء الذين لا يملكون  
الأغنام والعجول يذبحون أولادهم وبناتهم خشية  
غضب الرب. ثم أصبح الكباش أو الخروف يذبح بدلا  
من الابن أو الابنة. وقد أمرني الله بذبح ابني إسماعيل.  
سألته لماذا يارب؟ هذا كبش أقدمه لك بدلا من ابني.  
غضب الله غضبا شديدا وقال لي ألا تعطيني يا إبراهيم  
وأنا ربك الأعلى الذي أعطاك الأرض؟!

وخشيت أن يأخذ مني الأرض بل خشيت أن يقتل ابني إذا أنا لم أذبحه.  
(يمسك سيدنا إبراهيم رأسه بين يديه ويكي بصوت مكتوم).

سيدنا إبراهيم: آه يا ربى كم كنت قاسيا قلبك من حجر لم تكن ترحم  
دموعى يارب. أرجوك يا سيد رضوان أسأله لماذا كان  
قاسيا إلى هذا الحد؟ لماذا لم يكن يهدأ إلا حين يرى  
الدم المراق؟ إن زوجة موسى ياسيد رضوان رأت الرب  
غاضبا يريد قتل زوجها موسى. مع أن موسى كان  
مطيعا للرب أكثر منى، ولم يكن يسأله مثل أى  
سؤال. زوجة والرب غاضب تريد أن تحمي زوجها. قال  
لها موسى إن ربنا عصبي المزاج لا بد له أن يرى الدم

ليهدأ، ولم يكن مع الزوجة فى تلك اللحظة أى  
خروف أو عجل أو حتى فرخ صغير، فأمسكت ابنها  
وقطعت غرلتها، سال الدم وتراجع الرب عن قتل  
موسى وهذا.

بنت الله: عملية الختان جريمة فى حق الإنسان يا سيدنا رضوان  
أرجوك أن تسأل سيدك الأعلى لماذا فرضها على شعبه  
اختار وقال إنها مقابل الأرض، هو يعدهم بالأرض  
وهم يعدونه بالختان، ما علاقة الأرض بقطع جزء من  
جسم الإنسان؟!

سيدنا رضوان «فى ضيق»: أنا لم أذن لك بالكلام، أرجوكى انتظرى  
دورك.

(هنا يرفع الرب الأعلى يده بحركة بطيئة، يشير إلى سيدنا رضوان  
بالسكوت. ثم يتكلم هو بصوت يشبه صوت الرعد  
اخافت له نبرة معدنية غير بشرية).

الرب الأعلى: الختان عملية لإثبات الطاعة لى والخضوع إنها واجبة  
على كل عبيدى.

(يدب الصمت لحظة، ثم تبدأ المهمة. أكثر الحاضرين لا يقتنعون  
بالإجابة. أصوات زمجرة بين الناس. خاصة الأطفال الذكور. أحدهم  
يكي بصوت مكتوم ويخفى وجهه بيديه. الطفل إلى جواره يهمس فى  
أذن الطفل الآخر).

الطفل: حلاق الصحة طاهره بالموس وقطع الرأس كليها مش  
الجلد بس!

الأعمال الكاملة. المرحيات

الطفل الآخر: الجرح بتاعى قعد ينزف وكنت هاموت ونمت فى  
السرير أسبوعين مش قادر أمشى.

(سيدنا رضوان يدق بالمطرقة فيسود الهدوء).

بنت الله: أتقطع أجزاء من أجسام الأطفال مجرد إثبات الطاعة

والخضوع؟! ألهذا الحد تبلغ عبادة الذات ياربى؟

يسود بعض الغضب فى القاعة. يدق سيدنا رضوان

على المطرقة. يتحرك بعض الجنود المسلحين لحفظ

النظام. يعود الهدوء والسكون.

سيدنا إبراهيم: نحن يا رب نعبدك ونصلى لك وأنت لا تعبد أحدا، أنت

تعبد ذاتك وهذا حقلك يارب، ومن حقلك أن تفعل ما

تشاء دون أن يسألك أحد، لكن إذا أعطيت نفسك

هذا الحق فلا بد أن تلزمنا بالعدل لكنك أمرتنا بالقتل

والخيانة الزوجية. إذا كنت ستحرقنى فى النار يا سيدى

إحرقنى فهى أفضل لى من هذه النار التى تهش قلبى

وضميرى.

يسقط سيدنا إبراهيم مغشيا عليه، يحوطه بعض الجنود يحملونه

خارج القاعة. يسود الهرج لكن النظام يعود مع دقائق المطرقة.

سيدنا رضوان: الكلمة الآن للسيد موسى.

(كان سيدنا موسى جالسا مطرقا حزينا، يرفع رأسه فى بطاء وإعياء،

ينهض فى شئ من التناقض والتردد. يتلعثم قليلا فى الكلام، يختار

كلماته بحذر شديد).

سيدنا موسى: يا سيدنا رضوان أنا جئت فى الأصل لأسأل الله عن

الإله يقدم استقالته فى اجتماع القمة

وعده لنا بالأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات وأنه

لم يحقق لنا إلا الأرض فلسطين ليس كلها وهناك

أجزاء لازلنا نتقاتل من أجلها كل يوم، ولا تكف

الحرب التى نالنا منها الكثير، والتى لم يكن لنا أن

تنتصر فيها على جيوش العرب والمسلمين لولا عون

الله ربنا الكريم، والمعونات العسكرية والمالية من الدول

الصديقة والشعوب الطيبة المؤمنة بالكتاب المقدس

وهو يجمع العهد القديم والعهد الجديد وكلاهما

عهود الله ربنا العظيم، والله إذا وعد وفى بالعهد والا

فما الفرق بين عهد الله وعهد البشر، لكن كلام أبى

إبراهيم قد فتح عيني على أشياء لم أعرفها وذكرنى

بمآسى عشتها أنا وزوجتى، وكنت أطيعه طاعة عمياء

بلا سؤال، وقد أمرنى الله أن أعود إلى مصر لأظهر

سحرى أمام فرعون، وبينما أنا ذاهب إليه فى الليل

لأنفذ أمر ربى إذا بربى يحاول قتلى فى الظلمة، ولم

أعرف لماذا يقتلنى من وراء ظهرى وأنا أنفذ أوامره.

(يحرك الرب الأعلى يده فى غضب مشيرا إلى سيدنا رضوان.

يتوقف سيدنا موسى عن الكلام).

الرب الأعلى: يا موسى أنت أغضبتنى لأنك كنت تناقشنى وحاولت

الهرب وعدم تنفيذ أمرى، ثم أنا يا موسى ربك الأعلى

أنا خلقتك وأعطيتك الحياة بإرادتى الحرة ومن حقى أن

أخذ حياتك حين أشاء!

سيدنا رضوان: هذا حق الله ربنا الأعلى يا سيد موسى.

سيدنا موسى: سمعا وطاعة يا سيدي، هذه مرة واحدة حاولت فيها الهرب لأن فرعون كاد يقتلني.

الرب الأعلى: وماذا فعلت بفرعون يا موسى بسبب ذلك؟ ألم أنتقم لك منه شر انتقام ليس منه فقط ولكن من الجيش المصرى كله الذى أغرقته هو وفرعون فى البحر، بل انتقمت أيضا من الشعب المصرى كله من أجلك يا موسى أنت وقومك إقرأ يا رضوان آياتى على الناس لعلهم يتذكرون.

سيدنا رضوان (يقرأ من كتاب الله): وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين» .. صدق الله العظيم.

الرب الأعلى: إقرأ عليهم يا رضوان ماذا فعلت بالشعب المصرى.

سيدنا رضوان: (يقرأ): «فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين». صدق الله العظيم.

الرب الأعلى: هذه آياتى فى القرآن الذى أنزلته على المسلمين، ذكرت اسمك يا موسى فى هذا الكتاب مائة وعشرين مرة وكم مرة يا رضوان ذكرت بنى إسرائيل؟ إقرأ عليهم يا رضوان لعلهم يتذكرون.

سيدنا رضوان (يقرأ): «ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين» يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين». صدق الله العظيم.

الرب الأعلى: كم مرة يا رضوان كررت هذا الكلام؟

سيدنا رضوان: كثير يا سيدي. كثيرا وهو مدون هنا فى القرآن الكريم. سيدنا موسى: ياربنا العظيم أنا لا أنكر..

الرب الأعلى (مقاطعا): كيف تنكر يا موسى وأنا لم أكف عنذكرك أنت وقومك. حتى فى الكتاب الذى أنزلته للمسلمين، وفرضت على المسلمين أن يؤمنوا بك نبيا ورسولا من عندى ويؤمنوا بالتوراة والإنجيل كما يؤمنون بالقرآن.

سيدنا موسى: ياربنا العظيم أنا لا أنكر.

الرب الأعلى (مقاطعا): أسكت يا موسى، لا أريد أن أسمع صوتك! أهكذا تنقاد بسهولة لهؤلاء الآخرين الذين كفروا بنعمتى وتبعوا الشيطان إبليس؟! ..

سيدنا موسى: ياربنا العظيم أنا ..

الرب الأعلى (مقاطعا): أسكت تماما والا سحبت منكم الأرض التى أخذتموها من شعب فلسطين، ثم لماذا تأخذون هضبة الجولان أيضا فى سوريا؟ هل عهدى لكم يشمل أى أرض فى سوريا؟ لماذا تطمعون أيضا فى نهر الأردن؟ هل ذكرت نهر الأردن فى التوراة يا رضوان؟

سيدنا رضوان: لا يا سيدي، لم يرد نهر الأردن ولا الجولان، فقط نهر النيل ونهر الفرات.

الرب الأعلى: من عليه الدور الآن أريد أن أنتهى بسرعة من هذه المهزلة، إنها مهزلة يا رضوان أن اجلس هنا لأستمع إلى هذا الكلام الفارغ، أهذه تسيحة إيماني بالديمقراطية يا

رضوان كما إن هذه المخلوقات التي خلقتها من الطين لا يمكن أن يكون عندها عقل ولا بد أن تحكم بالديكتاتورية والبطش! إنهم البشر يخافون ولا يختشون.

سيدنا رضوان: اللي اختشوا ماتوا يا ربنا العظيم، الدور الآن على السيد عيسى ابن مريم.

(يتقدم سيدنا عيسى بحماس الشباب والعاطفة فاتحاً ذراعيه لكن الإله الأب الجالس على العرش يرمقه ببرود شديد. يكتفى سيدنا عيسى بقبلة يطبعها على خد أبيه، الذي تقلص عضلات وجهه علامة الضيق، ثم يخرج مندبلاً حريزاً من جيبه يمسح عن وجهه القبلة. كأنما هي بصقة. سيدنا عيسى يتماسك بعد أن يزول حماسه).

سيدنا عيسى: يا أبي لا أعرف لماذا تنكرني الآن، وها هي أمي تجلس وسط الناس.

(يتلفت سيدنا عيسى إلى الجمهور يبحث عن وجه أمه السيدة مريم عليها السلام. يظهر وجه الأم مريم العذراء بصورتها المعلقة في الكنائس تحمل طفلها عيسى المسيح، إلى جوارها صورة الإلهة المصرية القديمة إيزيس تحمل طفلها حورس. الصورتان متشابهتان إلى حد كبير، والطفلين متشابهين، إلا أن إيزيس تحمل فوق رأسها الشمس، ومريم العذراء تحمل فوق رأسها تاج الألوهية.

مريم العذراء: إنه أبوك يا ابني وقد جاءني في ظلمة الليل يرتدى ثوب الملاك. كان أبي رجلاً يحترمه الجميع، وكانت أمي

عاقرة دعت الله أن يرزقها بطفل تهبه لخدمة الله في المعبد. حبلت أمي وولدتني بنتا لكنها نفذت وعددها لله، وهبتني لخدمة الله في المعبد. وفي ليلة وأنا غارقة في العبادة جاء الملاك وفعل بي ما يفعله الزوج بزوجه. لما رأني مذعورة أرتجف هدأ روعي وقال إنه روح الله أرسله إلى لأحبل بابنه الذي سيكون نبيا. لكن الذعر غلبني فهربت من المعبد، وهربت من قريتي «ندرت» وعشت في منزل مهجور حتى جاءني اغراض وأنا راقدة تحت النخلة. كم تعذبت يا ابني وأنا أهرب بك من قرية إلى قرية ومن بلد إلى بلد. الناس أكلت وجهي ووجه أبي يقولون لي: يا بنت هارون ما كان أبوك إمريء سوء وما كانت أمك بغيا ولم يكن عندي أي رد. صمت عن الكلام حتى تكلمت أنت يا ابني.

سيدنا عيسى: نعم يا أمي وكنت أخاطب الناس أو أخاطب أبي، أهملتك يا أمي ولم أخاطبك، حتى وأنا فوق الصليب رأيتك إلى جوارى تكيين لكني تجاهلت وجسودك ودموعك ورحمت أخاطب أبي وأناديه. كان المجتمع يفرض على ذلك يا أمي فهو مجتمع أبوي لا يحترم إلا الأب، مجتمع لا يحترم النساء يا أمي، وقد حاولت أن أنصف النساء لكني فشلت، كان الرجال ينتهكون جسد المرأة ثم يقولون عنها بغى، يرحمونها بالأحجار حتى تموت، وقلت لهم: من ليس منكم بلا خطيئة فليرحمها بحجر.



مريم العذراء: نعم يا ابني قلت ذلك وأكثر، لكن أبوك تخلى عنك وتركتك لهؤلاء الرجال الفاسقين حتى دقوك بالمسامير فوق الصليب وقتلوك، آه يا ابني كم انفطر قلبي عليك وأنت شاب صغير وأنت طفل رضيع بدون أب..

(صوت مريم العذراء ينشج بالبكاء المكتوم وتكف عن الكلام).

(حواء إلى جوارها تربت على كتفها).

سيدنا عيسى: يا أبى أنا جئت إليك لتقول شيئا يصحح ما جاء فى الإنجيل من روايات وقصص لا يصدقها عقل، خصوصا هذه القصص عن النساء والزانية الكبرى التى تركب الشيطان وتتهكم عليك حتى ضربتها بالسيف وساح دمها فى السماء. من هى يا أبى هذه المرأة، لأن النساء «القيمينست» فى عالم اليوم لا يكفون عن الأسئلة، وقد درسوا التاريخ القديم فى مصر وبابل القديمة وأنت تقول أن بابل هى المرأة الزانية، فكيف تكون المدينة امرأة زانية؟ النساء القيمينست يا أبى يقولون أن فى بابل كانت تعيش الأم الكبرى، الإلهة الأثنى القديمة التى ولدت آدم وحواء، ومنها جاءت البشرية كلها. لكنك قتلت الأم الكبرى، امرأة بابل، وأخذت منها عرش المدينة، وجعلتها زانية مخيفة تركب الشيطان، وأكثر ما كان يخيفك هو برج بابل، لقد أفزعك هذا البرج وأمرت بهدمه حتى تهدم عمل الناس، ولبلت ألسنتهم حتى لا يفهم بعضهم بعضا ويتقاتلون وقلبت التاريخ رأسا على

عقب، جعلت آدم الرجل يلد من ضلعه حتى تنكر وجود الأم الأولى فى التاريخ، وعاقبت حواء وحملتها وزر الخطيئة الأولى، وشرعت الحروب بلا سبب إلا عبادة ذاتك واتخذك اليهود سببا لإبادة الشعب الفلسطينى والحروب الصليبية تمت تحت اسمك والحروب الطائفية وحروب الاستعمار القديم والجديد كلها تتم تحت اسمك، حتى جورج بوش حمل الإنجيل فى يده وهو يعلن الحرب فى الخليج ولم تكن هى إلا إحدى حروب البترول التى لم تكف حتى اليوم. إن القانون الدولى اليوم ينص على أن الأرض ومواردها الطبيعية هى ملك للشعب الذى يعيش عليها، فكيف يكون قانون البشر. أعدل من قانونك يا أبى، وأنت الله، المفروض أن قانون الله هو أعدل من قوانين البشر! والقانون الدولى فى الأمم المتحدة ينص على أن المرأة مساوية للرجل ولها جميع حقوق الإنسان بما فى ذلك امتلاكها لجسمها وأنت جعلت الرجل مسيطرا على المرأة يسودها ويملك جسدها فأين العدل أين العدل يا أبى الذى جعلتني أموت فوق الصليب من أجلك!

(سيدنا عيسى راکعا يمسك رأسه بيديه ويجيش بكاء مكتوم. الصمت يدب فى القاعة لا يسمع إلا مروحة ريش النعام، والجندى يمسح العرق عن جبهة الرب الأعلى. يدفعه الرب بيده غاضبا. يتراجع الجندى إلى الوراء فى خشوع).

الرب الأعلى (بصوت حزين): يا ابني العدل يختلف من زمن إلى زمن، لا يمكن أن نقارن العدالة اليوم بالعدالة منذ عشرين قرن. ما تعتبره ظلما اليوم ربما كان عدلا في ذلك البلد أو تلك المدينة إن الأحكام تتغير بتغير الزمان والمكان يا ابني.

(تسرى همهمة في القاعة ويرفع بعض الناس أيديهم طلبا للكلام. يدق سيدنا رضوان المطرقة ترفع بنت الله يدها، يتجاهلها سيدنا رضوان).  
سيدنا رضوان: الكلمة حتى الآن للسيد عيسى أم أنك انتهيت من الكلام؟ هل عندك أقوال أخرى؟  
(يرفع سيدنا عيسى رأسه والدموع في عينيه).

سيدنا عيسى: لكنك يا أبي تقول أن أحكامك ثابتة خالدة لا تتغير بالزمان أو المكان؟

الرب الأعلى: عندي يا ابني أحكام ثابتة لا تتغير وعندي أحكام يمكن أن تتغير وعندي أيضا في كتيب الثلاثة قصصا وأحداثا حقيقية وقعت في حياة الناس، وعندي أيضا قصصا رمزية مثلا برج بابل كان رمزا للفساد في مدينة بابل ولذلك أمرت بهدمه، لكني لم أهدم برج إيفل في باريس، ولا الهرم الأكبر في مصر، ولا ناطحات السحاب في أمريكا. وكلها أعلى من برج بابل!

سيدنا عيسى: لكن يا أبي كيف في كتيبك نعرف القصص الحقيقية من القصص الرمزية أو الأحكام الخالدة الثابتة من الأحكام المتغيرة.

الرب الأعلى: هذه هي مهمة المفسرين من البشر.  
سيدنا عيسى: إذن لا يمكن أن نفهم كلمتك إلا بالتفسيرات البشرية وكلها متضاربة ومختلفة. أن يفسر البشر كلمة الله يعني أنهم أقدر على الوضوح من الله وهذا غير جائز يا أبي. أن تحتل كلمة الله أكثر من معنى يعني أنها ليست كلمة الله. يا أبي تضع على البشر عبنا كبيرا لاختيار الثابت من المتغير والحقيقي من الرمزي ولهذا يختلف المفسرون ويتقاتلون وتسفك الدماء وكل منهم يدعى أنه يعبر عن كلمتك وعلى هذا لا يمكن أن تكون كلمتك مرجعا سليما لأحد. إن عقل البشر أقل من عقلك وقد تغفر لهم الغموض أو القصور عن الشرح لكن عقل الله هو العقل الأكبر لذلك لا بد أن تكون كلمة الله أوضح من كلمة البشر.

(يدق سيدنا رضوان بالمطرقة)

سيدنا رضوان: انتهى وقتك يا سيد عيسى، أنت أخذت نصيب غيرك في الكلام.

سيدنا عيسى: أنا متأسف ولكن عندي سؤال أخير يا أبي، هل أنت خلقت الإنسان قبل الحيوان أم الحيوان قبل الإنسان. نحن لا نعرف لأن أقوالك في كتيبك متضاربة. ولماذا ترتدى جسد رجل؟ وهل كنت موجودا قبل أن تخلق هذا الكون؟ أين كنت؟ في كون آخر؟ من الذي خلق هذا الكون الآخر؟! أكون أخرى كثيرة اكتشفت اليوم ومجموعات شمسية أكبر من الشمس والقمر الذي

تحدثت عنهما في كتبك، نحن في حيرة يا أبي!

الرب الأعلى: عقل الإنسان يا ابني قاصر وعاجز عن تصور وجودي خارج الزمان والمكان، أنا بالطبع خارج الزمان والمكان وخارج جميع هذه الأكوان المكتشفة والتي لم تكتشف بعد: هذا التصور فوق عقل البشر لكن الملايين في العالم حتى اليوم يؤمنون أنني خلقت العالم وكنت موجودا قبل العالم فلماذا يؤمن بي الملايين حتى اليوم يا ابني؟

سيدنا عيسى: لا أعرف يا أبي الإجابة

(يدب الصمت في القاعة. الجميع يفكرون بعمق. لحظة من الصمت الكامل. حتى المروحة توقفت في يد الجندي. يبدو على الرب الأعلى الانتصار والزهو.

ترفع بنت الله يدها تطلب الكلمة. يمنحها سيدنا رضوان).

سيدنا رضوان: الدور ليس عليك يا أنستي.

بنت الله: الملايين يؤمنون لأنهم يخافون من العقاب في الدنيا والآخرة واحرق في نار جهنم أو القتل والطرده من أرضهم لأنهم لا يطيعون الله أو الإمام أو مندوب الله على الأرض إن الملايين في ألمانيا آمنوا بهتلر والنازي والملايين في إنجلترا آمنوا بتاتشر، والملايين في إسرائيل آمنوا بجولدا مائير وبنيامين نتانياهو والملايين في أمريكا آمنوا بجورج بوش والملايين في العراق آمنوا بصدام حسين، والملايين في السعودية آمنوا بالملك فهد،

الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة

والملايين في مصر آمنوا بالسادات، في كل بلاد العالم يؤمن الملايين بالحكام السفاحين خوفا من التعذيب والقتل والسجون أو خوفا من الاتهام بالكفر أو الإخاد أو الشيوعية أو الإباحية أو الفيمينيزم. إن جميع الحكام في العالم يعلنون الحروب حاملين التوراة أو الإنجيل أو القرآن، إنهم يا سيدي يحملون كتبك ويحاربون باسمك من أفريقيا الجنوبية إلى إسرائيل، من آسيا إلى أمريكا اللاتينية، يا سيدي أنت جعلت حرب الاغتصاب مقدسة وإذا قامت الحرب النووية في العالم فسوف تقوم تحت اسمك.

(سيدنا رضوان يدق بشدة على المنضدة بالمطرقة).

سيدنا رضوان: أرجو منك. عدم الكلام ولا أخرجك بالقوة خارج القاعة!

حواء: دعها تتكلم نحن في قاعة ديمقراطية!

مريم العذراء: دعها تتكلم إنها تعبر عن رأى الأغلبية في هذه القاعة الأغلبية الصامتة.

(تسرى الهمهمة في القاعة. ترتفع بعض أصوات النساء والتلاميذ الصغار والتلميذات وبعض الشباب من الرجال).

صوت المجموعة: دعها تتكلم يا سيد رضوان، نحن نضم صوتنا إلى صوتها.

سيدنا رضوان: يا حضرات السادة والسيدات والآنسات إن الوقت ضيق أو انتهى ولم يتحدث بعد السيد محمد وهذه الآنة

تأخذ الوقت من السيد محمد. تفضل يا سيد محمد.  
ينهض سيدنا محمد ويسير بضع خطوات إلى الأمام بوقار وهدوء.

سيدنا محمد: أولاً أود أن أشكر مولانا وسيدنا خالقنا وخالق هذا الكون على سعة صدره ولأنه جلس كل هذا الوقت رغم مشاغله الكثيرة واستمع إلى كل هذه الآراء المتعددة دون أن يغضب وفي مقدوره لو شاء سبحانه وتعالى أن يحول هذه القاعة إلى نار الحميم لكنه هو الرحمن الرحيم الذي يشملنا برحمته وقلبه الكبير، وقد جنت يا سيدى ومولاي لأشكو لك ملك السعودية الذى يعبث فسادا فى أرض الحجاز المقدسة وجعلها تحت أقدام العسكر الأجانب غحاربة المسلمين وانى أشكر هذه الفتاة الصغيرة التى سبقتنى فى الكلام وأشارت إلى هذا الملك وغيره من الملوك والحكام الذين سفكوا الدماء واغتصبوا الأراضى والأموال تحت اسمك يارب سبحانك وتعالى وأنت يا مولاي برئ منهم ومما يقولون، وتحت اسمى أنا رسولك وعبدك المطيع وأنا برئ مما يدعون، وهم يحورون كتابك القرآن الكريم ويفسرونه كما يشاءون، ويروجون الأحاديث عنى وهى مكذوبة، ويغيرون الأحاديث غير المكذوبة التى قلتها فى زمان ومكان غير هذا الزمان وغير هذا المكان، ولى حديث قلت لهم فيه أنتم أعلم بشئون دنياكم لكنهم يتجاهلون هذا الحديث ويقهرون النساء باسمى واسمك سبحانك وفى زمانى منذ ستة

عشرة قرنا لم أفرض الحجاب على المرأة وشرعت لها أن تختار زوجها وأن تطلقه إذا كرهت وجهه لكنهم يقهرون النساء ويقهرون الفقراء ويكنزون الذهب والفضة وأموال البترول ويتفاوضون مع أعداء المسلمين سرا وقد شوهوا صورة الإسلام إلى حد أن أصدر شيخهم واسمه « ابن الباز » كتابا يقول فيه أن وجه المرأة عورة ما عدا نصف عين ويدعى أننى أنا الذى شرعت هذا وأنا برئ من هذا الرجل الذى تسانده السلطة فى المملكة السعودية، وأضحك علينا الناس فى العالم بأن رفض الاعتراف بالعلم وأكد أن الأرض منبسطة وليست كروية وكل ذلك ينسبه إليك سبحانك وينسبه إلى مع أن الإسلام هو دين العقل ودين العلم والمعرفة وأول آية أنزلتها على يارب هى اقرأ باسم ربك الأعلى الذى علم بالقلم سبحانه أكبر مما يدعون، وكم أود ياربى أن أعود اليهم لأواجههم بأكاديبهم وأنقذ أمتى الإسلامية منهم فقد فسدوا وأفسدوا حتى توالى الهزائم على أمة المسلمين وأصبحوا فى مؤخرة العالم بعد أن كانوا فى المقدمة يحملون مشعل الحضارة والعلم.

وقد جنت إليك ياربى أطلب منك هذا الرجاء فما أحوج العالم اليوم إلى رسول من عندك ينقذهم من الضلال والمضللين.

(الرب الأعلى صامت يفكر بعمق، يشير بيده إلى سيدنا رضوان،

يتهامسان في تداول وتشاور، يعود سيدنا رضوان إلى مكانه، همهمة تسرى في القاعة. يدق بالمطرقة ليسرى الهدوء من جديد).

سيدنا رضوان: يوافق الرب الأعلى على ما قاله السيد محمد. لقد فسد الملوك والحكام جميعا فوق الأرض في الغرب والشرق والشمال والجنوب. وأصبح العالم في حاجة إلى رسول جديد من عند ربنا الأعلى، إلا أن الأمر يحتاج بعض الوقت حيث يصطفى الله سبحانه واحدا من رسله ليكون رسولا إلى البشر في القرن الواحد والعشرين وسوف يعقد سيدى الأعلى اجتماعا مغلقا مع جميع الرسل والأنبياء ابتداء من السيد إبراهيم حتى السيد محمد ليختار من بينهم الرسول الجديد، وسوف نعلمكم في حينه باسمه بإذن ربنا الكريم، والآن نهى هذا الاجتماع ونتمنى لكم.

(بنت الله تقف وتقاطع سيدنا رضوان).

بنت الله: أنا لم آخذ الكلمة بعد يا سيد رضوان

حواء: ولماذا لا نحضر هذا الاجتماع المغلق يا سيد رضوان. لماذا يكون كل الرسل والأنبياء من الرجال؟! أليس هناك امرأة واحدة تصلح أن تكون نبيهة؟! هناك امرأة واحدة تصلح أن تكون نبيهة؟! هناك امرأة واحدة تصلح أن تكون نبيهة؟! هناك امرأة واحدة تصلح أن تكون نبيهة؟! هناك امرأة واحدة تصلح أن تكون نبيهة!؟

تسرى همهمة في القاعة بين الجمهور. يقف أحد التلاميذ يحمل آلة موسيقية قديمة. يبدو عليه بعض الشقاوة والذكاء.

التلميذ: ولم نسمع إبليس الذى هو أصل الشر فى العالم.

يضحك التلاميذ. بعضهم يقول فى نفس واحد. والتلميذ يدق على الآلة:

المجموعة: عاوزين نسمع إبليس! عاوزين نسمع إبليس!

(يسود الهرج والمرج ويضحك الجمهور ويتلفت حوله باحثا عن إبليس. سيدنا رضوان يدق بالمطرقة لاعادة الهدوء).

(يقف إبليس فى يده الورقة التى كتب فيها استقالته الكل ينصت والصمت يدب فى القاعة).

إبليس: هذا الاجتماع تاريخى يا سيد رضوان، لأول مرة فى التاريخ يستمع ربنا الأعلى إلى صوتنا وكان لا يسمع إلا صوته، ولا يرى إلا نفسه ولا يعبد إلا ذاته، إن عبادة الذات تستوجب المسئولية، لأن المسئولية لا تفصل عن القوة، وإذا كان ربنا الأعلى هو الأقوى هو القوة العليا والجبروت الأعظم فلا بد أن تكون مسئولته هي الأكبر، هذا هو العدل والمنطق فالعدل هو المنطق البسيط الواضح، ولأن ربنا الأعلى هو الحكمة العليا والعقل الأكبر فلا بد يكون منطقهم هو المنطق الأكثر عدلا والأكثر وضوحا، لا بد لكلمة الله أن تكون أكثر عدلا وأكثر وضوحا من كلمة البشر، كلمتك يا سيدى التى جاءت فى كتبك الثلاثة السماوية كانت قاصرة، كانت فى حاجة إلى البشر ليفسروها للناس، وكانت فى حاجة إلى الترجمة وقد تضاربت أقوالك فى هذه الكتب الثلاثة، ولم تجعل الفضيلة الكبرى هي العدل أو المنطق بل جعلتها عبادة ذاتك وعدم عبادة إله آخر، وأصبح الشرك بك هو الإثم الأعظم وتقول فى كتابك القرآن «ويغفر الله الذنوب جميعا إلا أن يشرك به» هكذا يا سيدى ضحيت بالعدل والمنطق، وحكمت

على من لا يعبدك بالكفر والإلحاد وشرعت للناس قتله، وادعيت أنك تعرف كل شئ عن البشر وأنت لا تعرف عنهم شيئا، ولا تستطيع أن تتصل بهم مباشرة، وإلا ما أرسلت إليهم رسلا، وقد حاولت أن تخفى عجزك بالغموض والرمز أو التأثير على الناس بالمعجزات والسحر، لكن فرعون يا سيدي كان لديه من السحرة أكثر مما عندك، وعنده من الثعابين أكثر من ثعبان موسى، أما رسولك إبراهيم فأنت لم تثق في طاعته لك حتى ذبح ابنه، وكان يمكن أن تعرف ذلك دون حاجة إلى ذبح الابن البرئ، لقد جعلت من إبراهيم نموذجا سينا للآباء والأزواج، انهزمت الأبوة والإخلاص الزوجي في مواجهة الخوف منك، وكان يمكن أن تمتحن قلب إبراهيم بطريقة أخرى تزيد من إنسانيته وأبوته وإخلاصه لزوجته وابنه، لكنك جعلت العبادة والطقوس الدينية فوق المبادئ الإنسانية العليا، صحيح أنك كنت تتراجع أحيانا، وتقول لا إكراه في الدين، لكنك بصفة عامة وقفت ضد الفكر الحر والمعرفة، وفي كتابك التوراة احتكرت شجرة المعرفة لنفسك، صحيح أنك في القرآن تراجعت قليلا وأسقطت اسم الشجرة تماما، قلت عنها «الشجرة» بلا اسم، إلا أنك كنت ضد المعرفة والمنطق الواضح، وهناك اختلافات كثيرة بين كتبك الثلاثة مما بلبل عقول الناس وقسمهم فرقا وطوائف ومذاهب يتقابلون باسمك، كل منهم يحمل كتابا من كتبك وفي يده

الأخرى السيف أو قبلة أو مدفع رشاش، وأهم شئ يا سيدي أنك جعلتني في هذه الكتب الثلاثة عدو البشر والمسئول عن الشر في العالم، ولكن كيف أكون المسئول وأنت الذي تملك القوة والسلاح والمال والمعرفة والإعلام والسموات والأرض؟! كان يمكنك يا سيدي بكل هذه القوة والجبروت أن تمنع هذا الدم المراق على أرض فلسطين، كان يمكنك أن تنزع السلاح النووي يا سيدي بكل هذه القوة والجبروت أن تمنع هذا الدم المراق على أرض فلسطين، كان يمكنك أن تنزع السلاح النووي أو غير النووي من يد إسرائيل وأمريكا وروسيا وإنجلترا وفرنسا والصين، هذه الحكومات العسكرية النووية يا سيدي هي سبب الفساد في العالم وليس أنا إبليس المسكين الذي لا يملك سيفا واحدا ولم يحمل في يده سلاح أى سلاح. ماذنبى يا سيدي وما خطيئتي؟! أنتى رفضت الركوع لآدم؟ كيف أركع لحاكم فاسد ياربى؟ لقد اعترفت يا سيدي في كتابك أن آدم فاسد، ومع ذلك جعلته خليفتك في الأرض، ثارت الملائكة جميعا وليس أنا وحدى وقالوا لك: أتجعل فيها من يفسد فيها ونحن نسيح بحمدك؟! اعترفت بذلك في القرآن، وإذا أصبح الفاسد خليفة أو حاكما فماذا يحدث؟ ألا يعم الفساد؟! وإذا سألتناك لماذا تفعل ذلك تقول هذه هي إرادتى ومشيئتى وأنا حر. لكن الحرية مسئولية يا سيدي وإن لم يكن الرب الأعلى مسئولاً عن أفعاله

فمن يكون؟! هؤلاء الذين يذبحون الشعوب البرينة في فلسطين أو غير فلسطين ليسوا إلا سلالة الحكام الفاسدين ابتداء من آدم حتى اليوم. لقد أرسلت عيسى ابن مريم رسولا لك وابنا بارا لكنه تعذب وقتل على الصليب، واعترفت بذلك في كتابك الإنجيل، لكنك أنكرت ذلك في كتابك القرآن، فهل وجدت أن مقتل رسولك هزيمة لك تشكك الناس فيك؟! إن الفساد أو الظلم يا سيدي يقود إلى فساد أو ظلم آخر. وقد تراكمت المظالم والمفاسد في العالم حتى أغرقت الأرض بالحروب والدم يا سيدي أنت جعلت القلة التي تملك السلاح والمال تتحكم في الأغلبية الساحقة من البشر التي لا تملك السلاح ولا المال. أنت جعلت الرجال الرجال يتحكمون في النساء وشرعت لهم الخيانة وفرضت على المرأة وحدها الإخلاص الزوجي. أنت يا سيدي شجعت الجهل والغموض، قاومت المعرفة، كل خطوة خطاها الإنسان نحو العلم كانت بالرغم منك، وكل حرب في التاريخ قامت باسمك، وكل من خالفك تهدده بالخرق في النار أو القتل. وبعد كل ذلك يا سيدي تطلب من الناس أن تحبك؟! لا يا سيدي إن الحب والخوف لا يجتمعان في قلب واحد. وقد جنت اليوم ومعنى استقلتني من منصبي، هذا المنصب أنت فرضته علي، كنت أنا الشماعة التي يطلق عليها الحكام الفاسدون جراتهم ابتداء من آدم

الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة

حتى الملك فهد في السعودية أو بنيامين نيتانياهو في إسرائيل.

(يتقدم إبليس نحو عرش الرب الأعلى، ينحني بأدب شديد يقدم له الورقة، ثم يستدير ويسير خارجا من القاعة).

(عيناه مملوءتان بالدموع. العيون ترمقه بذهول ورهبة. الصمت يدب في القاعة طويلا. الرب الأعلى يشير بيده إلى السيد رضوان. يأتي إليه أحد الجنود بنظارة النظر فوق صينية من القضة أو الذهب. يرتديها الرب الأعلى فوق عينيه. لها شكل خاص غير نظارات البشر. يقرأ استقالة إبليس وهو صامت. ثم يلقي بها فوق الصينية التي يحملها الجندي خارج القاعة.

يشير الرب الأعلى إلى السيد رضوان. يتهامسان قليلا. ثم يعود رضوان إلى مكانه).

السيد رضوان: انتهى هذا الاجتماع بأمر ربنا الأعلى، عليكم جميعا بالانصراف، إلا السادة الرسل والأنبياء، نرجو منهم البقاء، فسوف يعقد اجتماع القمة المغلق بعد الاستراحة.

الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة

هؤلاء الذين يقتلون باسم الإسلام يشوهون صورته  
الصحيحة، مما يعطى أعداءنا الفرصة للنيل منه، وقد  
أصبح الإسلام في الغرب هو العدو الأول بعد سقوط  
الشيوعية.

سيدنا عيسى: نعم يا أخ محمد لا بد من وجود عدو لتبرير وجود  
الحرب ومصانع الأسلحة، هل يمكن أن تتخيل هذا  
العالم بدون عدو؟ أو بدون شيطان؟ بعد استقالة  
إبليس ماذا يكون الكون يا أخي محمد؟

من الناحية الأخرى يتهامس السيد إبراهيم مع السيد موسى.

السيد إبراهيم: ما يفعله قومك في إسرائيل يا موسى لا يرضى الله جعل  
أرض فلسطين لنا حسب وعده في التوراة، لكن هذا  
كسان منذ آلاف السنين فكيف تواصلون ذبح  
الفلسطينيين بهذه الوحشية، لقد قلبتم الدنيا كلها  
ضدكم، حتى حكومة فرنسا العنصرية الاستعمارية  
أصبحت ضدكم، هل عرفت أن جاك شيراك أصبح  
نصيرا للعرب ويطالب بدولة مستقلة للفلسطينيين؟  
هل سمعت أخبار في الراديو بالأمس؟!

السيد موسى: إنه صراع بين فرنسا وأمريكا يا سيدى حول منطقة  
الشرق الأوسط وما فيها من بترول. أنا بالطبع لا أتفق  
مع هذا النيتانياهو، إنه يبالغ في قسوته على  
الفلسطينيين، ويشجع المستوطنات غير الشرعية في  
الأرض المحتلة، وهذا يعطل مسيرة السلام التي نحن

## المشهد الثالث

اجتماع القمة يرأسه الرب الأعلى جالسا إلى عرشه العالى في المشهد  
السابق. الأنبياء والرسل جالسون على شكل نصف دائرة حول منضدة  
السيد رضوان يدير الجلسة في يده المطرقة إلى جواره كاتب الجلسة.  
الغرفة فخمة تشبه الغرف في القصور يتدلى من السقف نجفة تشبه  
النجف في قصور الملوك والآباطرة.

يرتفع الستار قبل أن يدخل الرب الأعلى إلى الاجتماع كرسى العرش  
العالى خال منه. لكن الرسل والأنبياء جميعا حاضرين الذين ذكرت  
أسماءهم في الكتب السماوية الثلاثة. بالطبع هناك بعض الغائبين إلا أن  
الرسل الأربعة الأساسيين موجودون وهم إبراهيم وموسى وعيسى  
ومحمد. جالسين بوقار.. يجلس في الوسط إبراهيم عن يمينه موسى،  
عن يساره عيسى، ثم محمد يجلس إلى جوار عيسى.

سيدنا عيسى وسيدنا محمد يتحدثان معا بصوت خافت.

سيدنا محمد: كان ربنا الكريم واسع الصدر وقد ضرب لنا مثلا عظيما  
في احترام الرأى الآخر وهو سبحانه الذى قال لنا لا  
إكراه في الدين، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.



الأعمال الكاملة. المسرحيات

أحوج إليها من العرب لتعيش دولة إسرائيل في أمان  
بدلا من هذه الحروب.

(يدخل حاجب يعلن بصوت جهورى):

السيد صاحب العزة والجلالة مولانا ربنا الأعلى!

(يفتح الباب المبطن بالجوخ الأخضر ويدخل إلى القاعة الرب الأعلى  
ومن وراه بعض موظفى البلاط والجنود والملائكة وبعض مصورى  
الصحف والتليفزيون. يجلس على العرش بعد أن يقف له الحاضرون مع  
الإنحناء فى خشوع كبير. يبدأ الحديث سيدنا رضوان بعد انصراف  
الحاشية والبلاط و مندوبى الإعلام).

سيدنا رضوان: هذا اجتماع قمة مغلق أراد ربنا الأعلى أن يتباحث  
مع رسله الكرام فى بعض مشاكل الكون وقد حضرتم  
سيادتكم الاجتماع الموسع السابق وأصبحتم على  
دراية بالمشاكل التى تواجهنا اليوم والتى يجب أن نجد  
لها حلا سريعا من أجل الحفاظ على العرش الأعلى،  
إذ لا يمكن أن يتعرض هذا العرش لأى أذى ونحن  
موجودون، نحن حماة هذا العرش أيها السادة أليس  
كذلك!؟

يوافق الجميع دون اعتراض. يشرب سيدنا رضوان بعض الماء من إناء  
فضى. يواصل كلامه.

سيدنا رضوان: ولعل أخطر ما حدث اليوم هو استقالة إبليس، وقد  
حاولت أن أثنيه عن هذه الاستقالة ليعود إلى عمله  
ويوسوس فى آذان الناس إلا أنه رفض تماما وليس

الإله يقدم استقالته فى اجتماع القمة

أماننا أيها السادة إلا أن نختار من بينكم واحدا يقوم  
بدور إبليس، وإلا أصبحنا فى حرج شديد، فلا أحد  
يتصور العالم بدون شيطان، ما رأيكم دام فضلكم؟

الصمت يدب بين الحاضرين. لا أحد يتقدم، كل واحد منهم ينظر  
إلى الآخر. يبدو عليهم جميعا القلق والخوف والتردد. تمر لحظة طويلة لا  
أحد يتقدم.

سيدنا رضوان: إذا لم يتقدم أحد فسوف يضطر سيدنا ومولانا أن يختار  
واحدا من بينكم. ما رأيكم؟

سيدنا إبراهيم: من حق الله أن يختار من يشاء وليس أماننا إلا الطاعة  
والصبر، وأنا رجل عجوز قبيح الصوت والشكل  
والشيطان لابد أن يكون شابا جذابا يمكنه أن يغرى  
الناس أما أنا فلا إغراء ولا يحزنون.

سيدنا موسى: وأنا أيضا عجوز وقبيح الشكل وسوف ينفر الناس منى إذا  
أصبحت الشيطان وهكذا يصبح وجود الشيطان مثل  
عدم وجوده.

سيدنا محمد: وأنا لا أصلح أيضا يا سيد رضوان فقد ولى الشباب وراح  
ولست عندى قدرة على الوسوسة فى آذان الناس. إن  
صوتى قوى يا سيد رضوان.

(العيون تتجه إلى عيسى، الشاب الوسيم).

سيدنا رضوان: أيمكن أن تقبل هذا المنصب يا سيد عيسى من أجل  
أيك!؟

سيدنا عيسى: من أجل أبى صلبونى وعذبونى يا سيد رضوان وليس من

العدل أن أعذب وأصلب من جديد. لماذا لا تلعب أنت يا سيد رضوان دور الشيطان، وقد عشت حياتك كلها في نعيم الجنة ومن العدل أن تنال بعض الأذى وتعانى بعض الألم كما عانينا نحن!؟

(يوافق الجميع على رأى سيدنا عيسى. يقولون فى نفس واحد وهم يتنفسون الصعداء. جميع الرسل فى صوت واحد: هذا رأى سديد وكلنا نوافق عليه بالإجماع)!

(يسقط وجه سيدنا رضوان فرعا وهولا، ينظر إلى ربه الأعلى يطلب منه الإنقاذ).

الرب الأعلى: رضوان هو ساعدى الأيمن لا أستطيع الاستغناء عنه، على أى حال ستترك منصب إبليس حتى تفرغ من المواضيع الأخرى. تفضل يا سيد رضوان.

السيد رضوان (يقرأ من ورقة): البند الثانى فى جدول الأعمال هو انتخاب الرسول الجديد الذى سيرسله ربنا الأعلى لإصلاح العالم. لقد طلب السيد محمد من سيدنا الأعلى أن يرسله مرة أخرى ليهدى الناس إلى الصراط المستقيم، لكن سيدنا الأعلى رأى أن الشورى فى أمر هذا الرسول الجديد ضرورية، فأنتم جميعا رسله وأنبيأؤه وهو يثق فيكم جميعا وأنتم أمامه سواسية كأسنان المشط، ولهذا ترك لكم الحرية أن تختاروا فيما بينكم هذا الرسول الجديد. (يدب الصمت بين الحاضرين يطرق كل منهم مفكرا بعمق).

لا أحد يتكلم. أخيرا نسمع صوت سيدنا إبراهيم.

سيدنا إبراهيم: حيث أن لا أحد تقدم فإنى أشرح السيد موسى بصفتي أكبر الحاضرين سنا ولأنتى أبو الأنبياء، وقد رشحت السيد موسى لأنه أقدم الأنبياء من بعدى، وأكثرهم تجارب وحنكة والرسول الحديد يجب أن يكون على قدر كبير من الحنكة.

سيدنا رضوان: ما رأيكم أيها السادة.

سيدنا محمد: معذرة يا أبى إبراهيم لا أوافق على هذا، لأن السيد موسى يقف إلى جانب قومه بنى إسرائيل، والمشكلة الكبرى فى العالم اليوم هى إسرائيل ولا يمكن أن يكون رسول الله الجديد من بنى إسرائيل. أنا أشرح بدلا منه السيد عيسى.

سيدنا رضوان: ما رأيك يا سيد عيسى؟

السيد عيسى: أود أن أشكر أخى محمد على ترشيحي، ولكنى أعتذر وأحشى أن أعود إلى ذلك العالم فتكون نهايتى التعذيب والصلب مرة أخرى.

(يتلفت سيدنا عيسى حوله فى الوجوه كأنما يبحث عن أحد غائب).

سيدنا عيسى: آلا تلاحظون أيها السادة أن جميع الحاضرين من الرجال لا توجد معنا امرأة واحدة. ماذا أقول لنساء العالم الفيميست حين أعود إليهم؟! أرجوكم إعفوني من هذا الدور!

السيد محمد: هناك بعض النساء العظيمات يصلحن لدور النبوة منهن السيدة خديجة زوجتى الأولى إنها هى أول من اعتنق

الإسلام، وبعد أن نزل على جبريل في غار حراء، عدت إليها أرثجف باخوف وقلت لها دترونى، ولم أعرف ماذا أفعل، وهى التى شجعتنى وقالت لى إنهض أنت رسول الله لولا ذلك أيها السادة ما نهضت وما نهض الإسلام.

سيدنا عيسى: وأمى السيدة مريم العذراء، هى أظهر النساء جميعا كما ورد فى القرآن يا أخ محمد، وقد اصطفاها الله على نساء العالمين، وخصص لها فى القرآن سورة كاملة باسمها هى سورة مريم، أما السيدة خديجة يا أخ محمد فلم يرد اسمها فى القرآن على الإطلاق! بل لم يرد اسم امرأة فى كتاب القرآن إلا اسم أمى مريم. ما رأيك يا أخ محمد؟

سيدنا محمد: كلامك صحيح يا أخ عيسى، وقد سألتى الناس مرارا لماذا لم يرد اسم السيدة خديجة فى القرآن كما ورد اسم السيدة مريم وقلت لهم لعل الله له حكمة فى ذلك لا نعرفها نحن البشر.

سيدنا إبراهيم: السيدة مريم ابنة هارون طاهرة الذليل ولكن هل نتخبها فى غيابها يا سيد رضوان؟ لماذا لا تدعوها إلى الإجتماع هى وغيرها من النساء العظيمات فى التاريخ لعل الله يصلح الكون برسولة امرأة بعد أن فشلنا نحن جميعا الرجال.

سيدنا رضوان يتهمس مع الرب الأعلى يستشير الرأى. يطول الهمس بينها بضع لحظات ثم يدق سيدنا رضوان الجرس

الإله يقدم استقالته فى اجتماع القمة

ويستدعى الجنود السيدة مريم العذراء وبعض النساء يدخلن معها منهن بنت الله. يجلسن فى الصفوف الخلفية. تدخل حواء أيضا ووجوه نسانية معروفة فى التاريخ القديم الإلهة معات والإلهة إيزيس. نقرتبنى، كليوباترة، رابعة العدوية وغيرهن).

سيدنا رضوان (يخاطب النساء): أمر ربنا الأعلى أن تكون بعض النساء الطاهرات حاضرات معنا فى اجتماع القمة هذا، وقد ذكر الله سبحانه فى كتبه الثلاثة أنه خلق الإنسان من نفس واحدة ذكر وأنثى، ولا فضل لإنسان على إنسان إلا بالتقوى والصلاح وعمل الخير، وهناك نساء كثيرات اشتهرن فى التاريخ بالتقوى والصلاح وعمل الخير منهن السيدة مريم أم النبى عيسى المسيح والسيدة خديجة زوجة النبى محمد والسيدة والدة النبى موسى التى أنقذت حياته من فرعون.

والسيدة هاجر التى أنقذت حياة ابنها إسماعيل وغيرهن من الأمهات والزوجات اللانى أثبتن شجاعتهن والتضحية بحياتهن من أجل إعلاء كلمة الحق. وقد أمر ربنا الأعلى بحضوركن للتشاور فيمن يكون الرسول الجديد الذى يرسله الله لإصلاح هذا العالم الغارق فى الدم والحروب والمظالم، لقد جاءنى الآن بالفاكس إشارة أن مائتى ألف طفل ماتوا جوعا وهم يهربون من نيران الحرب المشتعلة فى زانير ورواندا وبروندى وأن ٧٠ شابا وطفلا قتلوا فى معركة أخيرة

بين الجيش الإسرائيلي والشعب الفلسطيني غير المسلح، وأن الدول النووية الكبرى تريد نزع السلاح النووي من كل بلاد العالم إلا بلادهم وإسرائيل، ونزع هذا السلاح لا بد أن يسرى على الجميع.

إن ربنا الأعلى غاضب على حكام هذا العالم، لقد فسدوا في الأرض وكالوا بمكيالين، وقد قرر سبحانه أن يرسل إلى الناس رسولا جديدا يذكرهم بكلمة الله ويهديهم إلى الصراط المستقيم، أو رسولة امرأة، فلماذا يكون كل الأنبياء رجال، لهذا نطلب منكم إبداء الرأي في هذا الأمر، وترشيح واحدة منكم لهذا الدور.

(حواء ترفع يدها تطلب الكلمة.)

(سيدنا رضوان تفضلي يا ست حواء)

حواء: أريد أن أسألك يا سيد رضوان لماذا حذف اسمي، لماذا لم تذكر اسمي ضمن هؤلاء النساء في التاريخ، أتفعل ما فعله سيدك الأعلى وتكرر أنتى أول من قاده البشر إلى المعرفة وليس إلى الموت كما ذكر في كتبه للناس. لقد حذف ربك الأعلى اسمي في كتابه الأول التوراة لكنه ألصق بي الخطيئة الأولى، ثم حذف اسمي تماما في كتابه الثالث القرآن، جعلني فقط زوجة آدم، لكنه أشرك آدم معي في الخطيئة حين قال: وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما عما كانا فيه. يستخدم ربك

الأعلى صيغة المثني هنا دليل على أن الاثنين آدم وزوجته قد اقتربا الإثم، لكنه يغفر لآدم وحده ويقول: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم. لماذا يا سيد رضوان لم يقل «فتلقى آدم وزوجه من ربهما كلمات فتاب عليهما؟» لاشك أن ربك الأعلى على دراية كبيرة بالنحو في اللغة العربية، ولهذا يا سيدي أصبحت أنا «حواء» الأثمة» في نظر الناس جميعا ممن يؤمنون بسيدك الأعلى وكتبه، وخرج آدم بريئا مع أنه كان فاسدا يسفك الدماء واعترضت الملائكة أن يكون أن يكون آدم خليفة لسيدك على الأرض وقالوا كما جاء في القرآن، أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ أتعرف بماذا رد عليهم قال: إني أعلم مالا تعلمون، هكذا إدعى لنفسه المعرفة وطردني منها مع أنني صاحبة المعرفة الأولى من خلال تجربتي في حياتي، فالمعرفة يا سيد رضوان لا تنتج إلا من التجربة في مكان معين وزمان معين، وسيدك الأعلى يعيش خارج الزمان وخارج المكان فمن أين يحصل على المعرفة؟! المعرفة يا سيد رضوان تنتج عن الحواس والعقل داخل تجربة نعيشها.

سيدنا رضوان: هذا تخريف يا سيده حواء، كيف تنتج المعرفة عن الحواس والعقل؟ ربنا الأعلى هو صاحب المعرفة. إننا لا نحصل على المعرفة بواسطة التجربة بل من الله سبحانه وتعالى هو الذي يهبنا العلم والمعرفة قبل

التجربة والممارسة. نحن يا سيدة حواء لا نعرف إلا ما يريد الله لنا أن نعرف، قال الله تعالى قل: قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا. والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

سيدنا محمد: نعم يا سيد رضوان، لكن الله قال أيضا في قرآنه الكريم: «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون! إننا نولد يا سيد رضوان وعقولنا صفحة بيضاء لا نعرف شيئا ثم نتعلم ونكتسب المعرفة عن طريق السمع والبصر والأفئدة. والأفئدة تعنى القلوب، ما تحسه القلوب أى الحواس.

حواء: هذا الكلام يعنى أننا نكتسب المعرفة من أحاسينا ومما نراه ونسمعه ونعيشه فى الحياة وهو يناقض الآية السابقة التى يقول إن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء هذه الآية تعنى أن المعرفة بيد الله فقط يعطيها من يشاء ويحرمها من يشاء، أى هناك قضاء وقدر سابق على ولادة الانسان وليس للإنسان خيار أو معرفة مكتسبة من واقع حياته عن طريق حواسه، لأن كل شئ قد تم وعرف وكتب بصرف النظر عن تجاربه وخبراته.

وإذا كان الله قد فرض على الإنسان الهداية أو الضلال فالإنسان غير مسئول عن هدايته أو ضلاله، والله هو المسئول الوحيد وهو الذى يحاسب على ذلك وليس الإنسان، لأن هداية الإنسان أو ضلاله ليست نتيجة

الإله يقدم استقالته فى اجتماع القمة

اختياره بل مفروضة عليه من الله، والإجبار يا سيد رضوان يعفى من المسئولية، وهذا مبدأ أساسى فى العدالة أليس كذلك أيها السادة والسيدات!؟

سيدنا إبراهيم: نعم يا سيدة حواء الإجبار يعفى من المسئولية، كذلك أيضا فإن الإنسان مسئول عن أفعاله وليس مسئولاً عن أفعال الغير، وقد راجعت ربى الأعلى أكثر من مرة حين كان يأمرنى بحرق المدينة كلها وقتل كل من كان فيها بسبب ضلال عشرة منهم فقط أو عشرين.

سيدنا محمد: وهذا يا سيدنا إبراهيم ما نص عليه الله فى القرآن الكريم حين قال تعالى: ولا تزرر واحدة وزر الأخرى ولكل ما فعل.

سيدنا إبراهيم: نعم يا سيد محمد، لكن الله سبحانه وتعالى قال أيضا: «قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا» وهذا يعنى أن الإنسان لا يملك حتى ضرر نفسه أو نفعها فما بال الآخرين. وهناك آية أخرى فى القرآن يا سيد محمد تقول: إن أصابك من سيئة فمن نفسك وإن أصابك من حسنة فمن الله، وهكذا نرى أن آيات الله تتضارب وتقول الشئ ثم تنكره، وتقول الشئ ونقيضه فلا نعرف الحقيقة أبدا.

سيدنا محمد: لنفهم هذه الآيات يا سيدنا إبراهيم لابد من أرجاعها إلى الظروف التى نزلت فيها، ولكل آية ظرف يختلف عن الآية الأخرى، مثلا كان الله يأمرنى بالقتال حتى ترتفع كلمة الله: «وقاتلوا الذين كفروا بالله والرسول».

وفي ظروف أخرى كان ينهاني عن القتل ويأمرني بالتفاوض والصلح «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» لا بد من معرفة المكان والزمان الذي نزلت فيه الآية لفهمها ونعرف أسبابها.

سيدنا إبراهيم: إذن كلمة الله ليست مطلقة وليست ثابتة ولكنها مرهونة بالزمان والمكان وبالتالي يمكن أن تتغير من وقت إلى وقت.

سيدنا محمد: هناك أحكام ثابتة مطلقة في كتاب الله وهناك أحكام متروكة للبشر يغيرونها حسب مصالحهم، فإذا تعارض نص مع المصلحة العامة للناس تغير النص لكن هناك نصوص ثابتة مطلقة لا تقبل التغيير أبداً.

سيدنا إبراهيم: مثل ماذا يا سيد محمد؟

سيدنا محمد: مثلاً الأركان الخمسة للإسلام ثابتة لا تتغير: الإيمان بالله الواحد الأحد لا شريك له، ورسله والأنبياء جميعاً من إبراهيم ويعقوب وإسحاق وموسى وعيسى ومحمد، والإيمان باليوم الآخر والصلاة والزكاة والحج لمن استطاع سبيلاً.

سيدنا عيسى: لكنكم يا سيد محمد لا تؤمنون أنني صليت، وقال الله في القرآن «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ونحن في المسيحية نؤمن بالله وابن الله والروح القدس، أي أننا نؤمن بالتثليث وليس التوحيد، وإذا كان كل واحد مسئول عما يفعل ولا تزرز واحدة وزر أخرى فلماذا يعاقبنا الله جميعاً لأن واحدة أخطأت هي حواء.

الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة

حواء: وما هي خطيئتي؟! حسب ما يحكيه الرب الأعلى في كتبه السماوية كان أمامي طريقين لا ثالث لهما:

الطريق الأول: هو ألا أكل من الشجرة فأحصل على الخلود مع الجهل. والطريق الثاني هو أن أكل من الشجرة واكتسب المعرفة لكنني أحرم من الخلود، وقد فضلت المعرفة مع عدم الخلود عن الخلود مع الجهل!

سيدنا رضوان: عدم الخلود يعني الموت والمعرفة تعني ممارسة الجنس مع آدم والحمل والولادة أليس كذلك يا سيدة حواء،

حواء: نعم، وما العيب في الجنس والحمل والولادة يا سيد رضوان؟! لقد قال ربك الأعلى للبشر تكاثروا وتناسلوا فكيف كان يحدث ذلك بدون أن أكل أنا وزوجي من الشجرة، ونعرف الجنس معاً. كان علينا أن نختار بين طاعة الله وبين ممارسة الجنس والإنجاب. إن طاعة الله تعني أننا لن نكون لنا نسل أي أننا سنقرض. كما أن عدم طاعته تعني أيضاً الموت لنا. إذن الطاعة أو عدم الطاعة كلاهما تقود إلى موتنا. لهذا كان علينا أن نختار الجنس والتناسل ثم الموت بدلاً من الموت قبل ممارسة الجنس والإنجاب. على الأقل أصبح لنا نسل يتناسل من بعدنا وهكذا استمرت البشرية يا سيد رضوان فالبشرية كلها مدينة لي أنا لأنني عصيت الله وكنت أكثر شجاعة ووعياً من زوجي آدم، ومع ذلك يا سيد رضوان فقد أدانتني ربك الأعلى وعاقبني شر عقاب بأن جعل زوجي يسود علي وكنت أرجح منه

عقلا وحكمة، بل إنه عاقب كل بنات حواء، وجعل الرجال قوامون على النساء يسيطرون عليهم في العائلة أو الدولة.

سيدنا رضوان: العائلة مثل الدولة مجموعة ولا بد لها من قائد واحد يتخذ القرار النهائي حين يختلف الأفراد، وكان لا بد لآدم أن يكون هو القائد يا سيدة حواء، لأنه أطاعه وفهم أوامره أكثر منك، وكنت أنت عاصية أكثر منه وأقل طاعة لله لهذا رأى الله أن يفرض عليك طاعة زوجك، لأنك إذا أطعت زوجك أطعت ربنا الأعلى.

حواء: معنى ذلك أن ربك الأعلى عجز عن أن يفرض طاعته على مباشرة ففرض على الطاعة من خلال زوجي، ثم فرض «قانون الطاعة» على جميع النساء في العالم، وجعل الرجل وصيا على المرأة وعلى أخلاقها وشرفها وعذريتها وإخلاصها الزوجي، وأعطى للزوج سلطة مراقبة أخلاق زوجته وإخلاصها له لكنه لم يعط الزوجة هذا الحق بل شرع الخيانة الزوجية للرجال عن طريق تعدد الزوجات أو تعدد الخواري ومن ملكت أيمانهم، كل ذلك لأنني أنا حواء الآتمة دون أن أقترف أي إثم، بل إنني السبب الأول لاستمرار البشرية.

(صمت يدب في القاعة. الرجال مطرقون يفكرون).

سيدنا رضوان: السبب الأول لاستمرار البشرية هو ربنا الأعلى سبحانه وإن شاء الله لا نفرص البشر جميعا، لكنه أراد للبشرية الاستمرار وجعل آدم وحواء الأداة لتحقيق إرادته وهذا

حقه المطلق علينا نحن عبده فهو الذي خلقنا وعلينا أن نعبده ونطيعه، فهو أعلم منا، وقد عرف ربنا الأعلى أن الرجال أكثر طاعة له من النساء ولهذا خاطب الرجال وهذا أسهل له من مخاطبة الجنسين. ثم إن فرض زوج واحد على المرأة ضروري حتى يعرف الأب ولا تختلط الأنساب لكن تعدد الزوجات لا يؤدي إلى خلط الأنساب لأن الأب واحد.

بنت الله:

هذا يا سيدنا رضوان حين تكون الأنساب أبوية، لكن إذا كان النسب للأم لم تكن هناك مشكلة. وهناك بلاد كثيرة في العالم اليوم تنسب الأطفال لأمهاتهم أو تنسبهم للأم والأب معا. إن تجاهل اسم الأم ليس إلا استمرار لتجاهل حق المرأة في التاريخ، وفي الحضارات الأموية السابقة على ظهور الإله الذكر الواحد كان الأطفال ينسبون للأم وعرفنا الإلهة معات إلهة العدل، وإيزيس إلهة المعرفة، ولهذا عرفت في التاريخ النساء العارفات، أطلق عليها «العرافة» كان يلجأ إليها الملوك والأباطرة القدامى يسألونها عن الغيب، في شمال أفريقيا كان اسمها «ديهار» لكن اسمها أسقط في التاريخ كما أسقط أسماء النساء الحكيمات اللاتي أطلقن عليهن الساحرات وحرقن في العصور الوسطى لإتهامهن بالشيطنة أو تحدى الكنيسة، ومن النساء العربيات القديمات كانت زرقاء اليمامة هي العرافة ترى ما يراه الآخرون، وعفراء والزبراء من بنى رثام،

التي أنذرتهم بهجوم أعدائهم عليهم وقالت كلاما شعرا لا يقل إعجازا في البلاغة عن القرآن، قالت الزبراء لبني رثام: «واللوح الخفافق، والليل الغاسق، والصبح الشارق، والنجم الطارق، والمزن الوداق، إن شجر الوادى ليأدو ختلا، ويحرق أنيابا عصلا، وإن صخر الطود لينذر تكلا، ولا تجدون عنه معلى» وكانت بلقيس ملكة سبأ، والعرافة المرأة هي التي تنبأت بكارثة سد مأرب، لكن يا سيدنا رضوان انقلب التاريخ رأسا على عقب منذ تولى ربك الأعلى العرش، فقتل الأم الكبرى وسماها الزانية الكبرى في بابل، وأصبحت العرافة أو إلهة المعرفة هي الأئمة الشريفة، وهي الجاهلة الناقصة العقل والدين. وفي عالمنا اليوم تحرم المرأة من الكلام لأن صوتها عورة، ووجهها عورة في بلاد كالسعودية، ولا حق لها الانتخاب أو الترشيح في الكويت، ولا تستطيع أن تجدد جواز سفرها بدون إذن زوجها في مصر، وفي الغرب يا سيدنا رضوان في أمريكا وأوروبا لا تزال المرأة خاضعة لزوجها ولا تحصل على أجر عن عملها مثل الرجل، وتعاني أغلب النساء في العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا من الفقر إلى حد أن أطلقت الأمم اصطلاحا جديدا اسمه تانيث الفقر، وهناك شيخ معروف في مصر اسمه الشيخ الشعراوي يعتبر نفسه مندوب ربك الأعلى على الأرض إليه تلجأ النساء الفنانات لإعلان التوبة إلى الله وهجرة عملهن الفني باعتبار أن صوت المرأة في الغناء حرام، وظهورها

على المسرح حرام، أو شاشة السينما والتلفزيون، بل إنه يحرم الموسيقى ويقول أنها من الشيطان، وقد أفتى هذا الشيخ يا سيدنا رضوان بأن ربك الأعلى يحرم نقل الأعضاء مثل الكلية وغيرها إلى المرضى، وقال يا سيدى بالحرف الواحد: إن نقل الأعضاء أو غسل الكلى لعلاج الفشل الكلوى يؤخر لقاء الإنسان لربه وكلها محرمة، قال هذا بالأمس يا سيدى.

سيدنا محمد: إن كلام هذ الشيخ تخريف تخريف، فالله لم يأمرنا بالموت ولكن أمرنا بالحياة. آيات القرآن تشجعنا على الحياة ولو أخذ المسلمون بما يقوله هذا الشيخ في الحياة والموت (وماسماه تأخير لقاء الإنسان مع ربه) لاختفى الإسلام واختفى المسلمون بالانقراض، وفي العالم اليوم تتوالى الاختراعات العلمية والطبية لمساعدة الإنسان على الحياة ومقاومة المرض والموت، وليس هذا اعتراضا على إرادة الله فكله من قدر الله وقضائه، لكن الله أعطانا العقل لنجعل حياتنا أفضل وأجمل وأكثر عدلا، ولي حديث يا سيد رضوان أقول فيه: إعمل لدياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا.

(صمت يدب في القاعة. ثم تسمع أصوات خارج القاعة، الجماهير تهتف في المظاهرات. الشعب السوداني خرج في مظاهرة كبرى ضد حكومته).

(صوت الجماهير يسمع كفاية دين عاوزين تموين!)



بنت الله: هذه أصوات النساء والأطفال والرجال الفقراء يطالبون  
بالخبز بدلا من الآيات المقدسات، وبالأمس يا سيدي  
قتل أب سودانى أطفاله الأربعة وقال فى التحقيق: إنه  
أمر الله، الرجل اسمه «خميس مسكين» ارتكب هذه  
الجريمة وقال لرجال البوليس إنها تنفيذًا لأوامر يتلقاها  
من السماء، الأطفال عمرهم ما بين ٤-٩ سنوات،  
هشم أبوهم رؤوسهم بالساطور، وهناك امرأة مصرية  
اسمها «سحر محمود أحمد» قتلت طفلتها الوحيدة  
ياسمين مصطفى حسن، عمرها سنة واحدة، كتمت  
أنفاسها وحملت جنتها إلى البوليس وقالت إنها قتلت  
ابنتها. لترحمها من حياة الفقر وحتى تدخل الجنة وهى  
طفلة صغيرة لم تقترب ذنوبا بعد. وهناك يا سيدي  
أربعة نساء لقين مصرعهن أثناء تنافسهن على الحصول  
على الدقيق فى مدينة اسمها كفر الدوار، وهناك زوج  
وزوجة ألقيا بطفلهما المولود فى الشارع لأن الأم  
حملت به قبل كتابة عقد الزواج، قتل الطفل خوفا  
من الفضيحة، وهناك زوجات يا سيدي انتحرن وقتلن  
أنفسهن بسبب خيانة الزوج أو زواجه بامرأة أخرى.  
ورجال يطلقون زوجاتهم بلا سبب مجرد أن له الحق  
المطلق فى الطلاق، وأطفال بنات يبعهن الآباء لرجال  
عجائز تحت ستار عقد الزواج، وتضرب الزوجات  
تحت اسم آيه فى القرآن تقول «واضربوهن واهجروهن  
فى المضاجع» هذه المآسى كلها تحدث بسبب ما  
يطلقون عليه اسم «الشريعة».

سيدنا محمد: الشريعة يا بنتى بريئة من كل هذا، وسوف يحاسب الله  
هؤلاء المذنبين حسابا عسيرا فى الآخرة.

سيدنا إبراهيم: لكن يا سيد محمد هذا الحساب لا بد أن يكون فى الدنيا  
وليس الآخرة لأن الجرائم وقعت على الأرض هنا والآن  
ولا يمكن تأجيل الحساب إلى ما بعد الموت، لأن  
تأجيل الحساب يعنى تأجيل العدالة، والعدالة المؤجلة  
هى ظلم يا سيد محمد. العدالة المؤجلة يوما واحدا  
تساوى ظلما لمدة عام كامل.

سيدنا رضوان: ماذا تقول يا سيدنا إبراهيم؟ ألا تؤمن بالحياة الأخرى  
والحساب؟! أنت يا سيدنا أبو الأنبياء وأبو الرسالة  
التوحيدية، أنت أول من عرف التوحيد فى التاريخ!

سيدنا إبراهيم: لا يا سيدي، إن التوراة لا تشير إلى إله واحد بل  
«إلهيم» أى مجموعة من الآلهة، وقد بدأ التوحيد  
متأخرا فى مصر القديمة فى عهد نفرتيتى وإخناتون،  
وكان للمصريين القدماء آلهة كثيرة منهم آلهة أقاليم  
وآلهة مدن وآلهة عواصم وآلهة للدولة وآلهة لقوى  
الطبيعة وآلهة للملوك وآلهة للشعب، وفكرة الحساب  
بعد الموت والدار الآخرة عرفها القدماء المصريون قبل  
ظهور التوراة بقرون، الحقيقة أن عقيدة الحساب بدأتها  
المرأة المصرية القديمة، وفكرة العدل أيضا بدأتها المرأة  
المصرية القديمة، أو آلهة العدل، وهى أول من  
استيقظ فيها الضمير الإنسانى.

الإلهة معات: في مصر القديمة كان الإنسان يقول لقلبه في محكمة العدل: يا قلبي الذي أخذته من أمي وولدت به وعشت معه لا تشهد ضدي أمام أمي، فأنا لم أكذب ولم أسرق ولم أقتل.

الإله إيزيس: أمنا الكبرى «نوت» هي التي ربنا على احترام العدل، وحين توليت العرش من بعدها قالت لي إن قدسية الإلهة لا تتبع من عبادة الناس لها ولكن من حكمها بالعدل، وكانت تقول لي دائما: إن السفر الطويل للبحث عن الإلهة ينتهي بمرآة يرى الإنسان فيها نفسه العادلة إلا أن الآلهة الذكور في مصر أصبحوا هم آلهة الدولة، لأنهم انشغلوا بالحرب والقتال وانشغلنا نحن بالزراعة والعدل بين الناس. وكان آلهة الدولة يتغيرون بتغير النظام الحاكم، في البداية كان حور، ثم جاء في الدولة القديمة مفتاح، ثم تولى أتوم رع ثم جاء الإلهة أمين أو آمون المندمج بالاله «رع» في الدولة الوسطى، وكان هذا الإله الحاكم يدخل باستمرار كضلع أكبر في أسرة ثالوثية من الأب والأم والابن. كان الإله مثل الإنسان يتزوج وينجب. ثم دخل التثليث في التوسع، تكونت الجوامع الإلهية الكبرى من التاسوع، وفي اليونان القديم كان آلهة الأولمب بالمنات. إن تعدد الآلهة ليس تخلفا، والتوحيد لا يعنى التقدم، في الغرب المسيحي في أوروبا وأمريكا حتى اليوم يؤمنون بالله والابن والروح القدس، أي ثلاثة آلهة أو التثليث

الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة

وهم ليسوا أكثر تخلفا ممن يؤمنون بالله الواحد الأحد، إن تعدد الآلهة كان تقدما في الحضارة المصرية والحضارات النهرية الزراعية كالعراق القديم لكن البيئة الصحراوية تميل إلى التوحيد بحكم الصحراء فما أسهل أن يكتشف الرجل البدوي قيمة خروفيه في المرعى، وأهمية القمر في ليل الصحراء الصامت، فيقارن بين قرني الخروف وقرني الهلال، هكذا أصبح الخروف قمرا في أفنوم واحد، في عهد نمرتيتي واختاتون انطفأت فكرة التوحيد سريعا لم تعش إلا ١٧ عاما فقط، وقد انتشر التوحيد بقوة السيف والقتل والتعذيب، قال الرب الأعلى في كتابه القرآن:

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وينفون في الأرض).

سيدنا محمد: هؤلاء الذين يسعون في الأرض فسادا وليس الصالحين الذين يسعون إلى الخير والعدل.

سيدنا إبراهيم: نعم يا سيد محمد، لكن المشكلة من هو الذي يحدد الفاسد من الصالح، لقد كان آدم فاسدا يفسد في الأرض ويسفك الدماء ومع ذلك أصبح خليفة الله في الأرض.

سيدنا محمد: الله هو الذي يحدد الفاسد من الصالح.

سيدنا إبراهيم: لكن الله لا يعيش مع الناس على الأرض حين يحاكمهم الحكام ويطبقون عليهم هذه الآية، مشلا إن ملك

السعودية يقطع رقاب الشباب الذين يعارضونه بالسيف  
ويتلو تلك الآية من القرآن.

سيدنا محمد: وهناك شباب يحملون القرآن ويشورون ضد حكامهم طلبا  
للعدل والحرية.

سيدنا إبراهيم: هكذا يستخدم كتاب الله للدفاع عن الحق أو للدفاع  
عن الظلم لا فرق.

بنت الله: لهذا لا يوجد شئ اسمه كلمة الله المطلقة، كلمة الله  
نسبية تعتمد على القوة التي تستخدمها، وقد بدأت  
النساء تتضامن في بعض البلاد وتمثل قوة جديدة،  
تستخدم التوراه أو الإنجيل أو القرآن من أجل تحرير  
النساء وليس من أجل عبوديتهن. مثلا لم يعد الله عند  
هؤلاء النساء يخاطب بلغة الذكر. إن أى دين يعطى  
الإله صفة الذكورة وإن كانت لغوية يضع المرأة  
بالضرورة في مستوى أقل من الرجل في اللغة. إن  
اللغة الإنجليزية والفرنسية والعربية والعبرية وغيرها  
لغات ذكورية طردت النساء من اللغة، ليس اللغة فقط  
ولكن جملة الرموز في الأديان السماوية كلها ضد  
المرأة بل ضد الفقراء أيضا، وإذا كان الإله السماوى  
ذكرا فلا بد أن يكون الحاكم الأرضى ذكرا أيضا، لأن  
الإله نموذج البشر، وإذا قال الإله كلاما متناقضا  
أصبح التناقض أو الازدواجية سمة البشر. وإذا كانت  
كلمة الله ضد المنطق والعقل أصبحت لغة البشر ضد  
المنطق والعقل.

الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة

سيدنا رضوان: كلمة الله يا فتاتى فوق المنطق وفوق العقل لكنها ليست  
ضد المنطق أو العقل.

بنت الله: وهذا تناقض أيضا يا سيد رضوان، فكيف تكون الكلمة  
منطقية ومع ذلك تتجاوز المنطق وتعلو عليه؟!

سيدنا رضوان: انت تقولين كلاما خطيرا في حق الإله سبحانه وتعالى  
ما اسمك؟

بنت الله: اسمى «بنت الله».

سيدنا رضوان (فى فزع): أعود بالله ما سمعنا بهذا الاسم أبدا، اسمك  
يدل على الكفر.

سيدنا عيسى: لماذا يا سيد رضوان، إذا كان هناك ابن الله فلماذا لا تكون  
هناك بنت الله.

سيدنا موسى:؟ قال الله فى التوراه: أنه له أولاد فقط وليس له بنات.

سيدنا إبراهيم (يضحك): يا سيد موسى هذا كلام قديم لا بد من  
إرجاعه إلى زمانه ومكانه والا أصبح مضحكا اليوم.

حواء: فى الزمان القديم أنجبت أنا وآدم عددا من البنات  
والأولاد، وكانت المشكلة دائما أن الابن الفاسد مثل  
أبيه كان هو الذى يصبح خليفة، وكان إبليس أحد  
أبنائى لكنه كان صالحا، يسعى إلى المعرفة والحقيقة  
مثلنى، وأصبح خطرا يهدد سلطة الخليفة الأكبر، أنه  
الصراع على السلطة ليس إلا هو الذى جعل التاريخ  
البشرى مليئا بالدم.

بنت الله: وكم قتلت فى التاريخ نساء أولهن الأم الكبرى، فى بابل

ومنهن أيضاً مناة كانت إلهة الموت أمها في مصر القديمة هي الإلهة سخمت، والإلهة العزى، كلمة العزى تعنى العزة والقوة، وكانت العزى امرأة سوداء فقيرة لها شعر قوى غزير، قوية العزيمة، ضربها خالد ابن الوليد بالسيف ففلق رأسها ثم قتل سادنها وقطع شجرتها، هذه هي الإلهة العزى التى آمن بها سيدنا محمد حين كان على دين قومه وأهداها شاة عفراء، وكان لها حجر مربع أبيض فى الطائف، أما الإلهة مناة فكان لها الحجر الأسود الذى يقده العرب، أما الملكة حتشبسوت فى مصر القديمة التى استقبلت سيدنا موسى وحكمت مصر أكثر من عشرين عاما، وزوجها كان أمينوفيس الثانى، أما فرعون الذى حارب موسى فهو منفتح، وجسده اغنط موجود اليوم فى صالة الموميات الملكية فى المتحف المصرى بالقاهرة، أليس فى ذلك تعارض مما جاء فى كتب الله.

سيدنا محمد: لا يا أنسى، قال الله فى القرآن الكريم أن فرعون حين أدركه العرق والانهزام أمام جيش موسى وقومه قال: آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين، لكن الله أجابه قائلا: «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المعتدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية».

ربما تكون هناك تناقضات فى التوراة والإنجيل وربما دخل عليهما كثير من التحريف لكن القرآن الكريم هو كلام الله الصحيح الذى لم يحرفه أحد.

سيدنا إبراهيم: لا ياسيد محمد الكتب الثلاثة تم تحريفها وهذا طبعى لأن النقل عن الرواة من البشر لابد أن يؤدى إلى تغييرات فى اللفظ والمعنى. وكان المفروض يا سيدى إذا أردنا الدقة والصدق أن تصل كلمة الله مباشرة من الله إلى الناس دون أنبياء ودون مفسرين ودون مترجمين، مثلا إن فرعون لم يكن يتكلم اللغة العربية، وجاء كلامه فى القرآن باللغة العربية فكيف هذا؟ إن جزءا من المعنى يضيع بالضرورة من خلال الترجمة إذ لا يمكن أن نفسل الحرف عن معناه، وكان المفروض يا سيدى أن تصل كلمة الله إلى الناس مباشرة بلغاتهم المحلية دون حاجة إلى مترجمين أو مفسرين أو حتى أنبياء. أنا مثلا حين كان الله يخاطبني لم أكن أستوعب كل ما يقوله بالحرف الواحد، وكنت أنقل عنه للناس من خلال إدراكى لما قال، وهكذا تتغير كلمة الله دائما حين تصل إلى الناس من خلال البشر، وقد جاءت التوراة باللغة العبرية ثم ترجمت إلى اليونانية فى عهد بطليموس فيلادلفوس عام ٢٨٥ قبل ميلاد السيد عيسى، أرسل بطليموس إلى العازر رئيس الكهنة فى طلب نسخة من التوراة ومعها ٧٢ مترجما، ستة من كل سبط، فاستجاب العازر لهذا الطلب، وجاء الوفد واصطحب ديمترويس (أحد أعوان بطليموس) إلى جزيرة منعزلة فأجزوا العمل فى ٧٢ يوما ونالوا هدايا ثمينة من الملك، وقد اعتكف المترجمون كل فى غرفة مستقلة، وكانوا يترجمون

كلمة تلو الأخرى، أو كانوا اثنين اثنين ومعها كاتب، هذه الترجمة تمت بناء على طلب الامبراطور المصرى لصالح المكتبة الملكية بالاسكندرية، ولا يخفى عليك يا سيدى أن هناك مصطلحات كثيرة فى اللغة العربية لا مثيل لها فى اليونانية، كما أن المترجم لا يمكن أن يتخلص من فهمه اغصاص للنصوص، مثلا أحد المترجمين واسمه سمعان الشيخ أراد أن يترجم قول شعبياء النبى «هوذا العذراء تحبل (٧: ١٤) إلى هوذا الفتاة تحبل) والفرق كبير بين كلمة عذراء وكلمة فتاة، وهناك ألفاظ كثيرة تغيرت وتغير معناها بين النسخة العربية الأصلية والترجمة السبعينية. والسؤال يا سيدى لماذا بذل الامبراطور بطليموس فيلادلفوس كل هذه الأموال والهدايا ليترجم التوراة وينشرها على شعبه؟! هل يعرف أحد ماذا كان يفعل هذا الامبراطور بمن يخالفه الأمر؟ كان يذبحهم ويحرقهم ويصلبهم وقد وجد مثله الأعلى فى ربنا الأعلى والدليل المادى فى كتابه التوراة.

سيدنا رضوان: ماذا جرى لك يا سيدنا إبراهيم؟ هل كفرت بربنا الأعلى؟

سيدنا إبراهيم: لا يا سيد رضوان ولكنى أريد لربنا أن يكون المثل الأعلى للحق والعدل الرحمة واعتقد أن كتبه الثلاثة لم تعد صالحة ولايد من كتاب رابع يصحح به الكتب الثلاثة السابقة وينزل به للناس دون وسيط دون رسول دون

مفسر دون مترجم حتى تكون كلمته هى كلمته الأصلية ومعناها واضح مفهوم للناس من مختلف الشعوب واللغات واللهجات. إن جميع الأنبياء وأولهم أنا أيها السادة، وجميع المفسرين والشارحين لكتب الله، قد وقعوا جميعا تحت نفوذ الأباطرة والملوك والحكام الفاسدين من الامبراطور فيلادلفوس إلى فهد فى السعودية، وبنيامين نيتانياهو فى إسرائيل، وهؤلاء الحكام الذين يذبحون الشعوب فى زانير ورواندا، وجنوب أفريقيا، وشمال أفريقيا، وآسيا، وأوروبا، والأمريكتين، وأستراليا، وهؤلاء الذين استولوا بالأمس على كابول عاصمة أفغانستان ومنعوا النساء والفتيات من التعليم والعمل تحت إسم الله.

سيدنا محمد: لا يا سيدنا إبراهيم هؤلاء لا يعرفون الله.

سيدنا إبراهيم ومن الذى يعرف الله؟

سيدنا محمد: نحن الأنبياء عرفنا الله.

سيدنا إبراهيم: وما الفرق بيننا وبين الناس من الشعب؟

سيدنا محمد: لقد حلت إرادة الله فى الرسل والأنبياء.

بنت الله: ولماذا لا تحل إرادة الله فى جميع مخلوقاته بالعدل والقسطاس؟

(هنا تقف رابعة العدوية. كانت صامتا جالسة بين

صفوف النساء رفعت يدها.)

سيدنا رضوان: تفضلى يا سيدة رابعة

رابعة العدوية: كل مخلوق أيها السادة يدل على الله وما من واحد يتم عنه. من خلال حبي العميق لله وجدته في نفسي. ليس من الممكن اكتشاف وجودنا الحقيقي دون الانفصال عن ذاتنا. إفناء الذات هو الشرط الأول للحب والاندماج بالله. الله هو القوة العليا التي تجعل الإفناء للذات ممكنا. إفناء الذات للوصول إلى الذات الإنسانية المتجردة عن «الأنا». لكنها هي «الأنا» في اندماجها بالآخر. بالله والطبيعة والناس وتاريخ البشرية. أنا وجدت نفسي أيها السادة في الله. جاهدت طويلا وسافرت كثيرا أبحث عن الله، وانتهى جهادى وسفرى الطويل بهذه المرأة رأيت فيها نفسى بلغت قمة السعادة حين وجدت نفسي في ذات الله. لكنى قبل أن أجد أنفسي أفيتها في الآخر وهو الله.

الإيمان بالله هو الحب. حب الله والطبيعة والناس والجمال والاستعداد للموت وإفناء الذات من أجل هذا الحب. إن الموت في سبيل هذا الحب ليس موتا ولكنه عودة إلى الحياة الحقيقية، الحياة التي نعثر فيها على ذاتنا الحقيقية.

إيزيس: هذا كلام جميل يا سيدتى رابعة، ونحن نعتبرك الأم الأولى للفلسفة الصوفية، لكن التاريخ المكتوب أهملك لأنك لأنك لم تركى وراءك كتبا مطبوعة مثل ابن عربى الذى تبناه بعض رجال الحكم وحفظوا أقواله وطبعوها، كما حدث مع الأنبياء من إبراهيم إلى محمد فقد بنى أقوالهم خلفاء أقوياء فى السلطة

الحاكمة جمعوا هذه الأقوال وطبعوها لولا ذلك لاندثر فى التاريخ هؤلاء الأنبياء، لولا الكتب الثلاثة الموجودة الآن «التوراة والإنجيل والقرآن» والتي يعيد طبعها بالملايين الملوك والحكام اليوم لما عرف الناس شيئا عن النبى إبراهيم أو موسى أو عيسى المسيح أو محمد نبى المسلمين، ولما عرف الناس شيئا عن الله السماوى الذى اختاره إبراهيم من مجموعة الآلهة «إلوهيم» وهو الله السماوى نفسه الذى عبده موسى ثم محمد، وكلمة الله هى كلمة عربية محرفة عن كلمة «اللاه» وهذه فى أصلها كانت «اللاه» تكتب بالتاء المربوطة أو التاء المفتوحة «اللوات». وكانت هى الإلهة الأنثى المعبودة فى الجزيرة العربية مع الإلهتين «مناة» أو «منات» والإلهة «العزى».

قام الصراع على الأرض والمال بين القبائل التى كانت تعبد الإلهات الإناث والقبائل الأخرى التى بدأت تعبد الآلهة الذكور ومنهم الإله بعل والإله يهوه والإله اللاه وغيرهم كثيرون. الصراع كان يدور حول الأرض والمال لكنه يدور تحت اسم أحد الآلهة كما يحدث عندنا فى مصر القديمة. كان الناس فى مصر يعبدوننى أنا إيزيس إلهة الحكمة والمعرفة والملاحة. أنا التى كنت أرشد الملاحين والسفن فى البحر الكبير. أنا التى علمت المصريين والمصريات زراعة الخنطة والشعير. علمتنى أمى «نوت» كيف أضع البذرة

وأردمها بالتراب وأروبيها بماء النيل وأنتظر حتى يظهر  
النبت الأخضر. كانت أمى حين تنتظر النبات الأخضر  
تنظر إلى حركة الشمس بانبهار وحركة القمر بالليل.  
هكذا اكتشفت أمى الزمن أو الوقت أو الساعة  
الشمسية. قسمت الزمن حسب القمر وحركة  
الشمس. حسب النهار بخطوط فوق الأرض رسمتها  
كالأرقام كما رأت أمها نون تفعل. حسب الليل ثم  
حسبت اليوم كله والأيام السبعة أو الأسبوع، وحسبت  
الحول أو السنة، وجدتها ٣٦٥ يوما ثم أضافت لها  
خمسة أيام سميتها أيام النسي، وهى الأيام الخمسة  
الزائدة عن الشهور فى تلك السنة التى سميتها أمى  
بالسنة المختلة أو السنة الكبيسة، إن سنة التقويم  
الشمسى تنقص عن دورة الشعري يوما فى كل أربع  
سنوات. والسنة تنقص ٤/١ يوم. حسبتها أمى فوق  
الأرض بالأرقام  $٣٦٥ \times ٤ = ١٤٦٠$  يضاف إليها يوم  
واحد = ١٤٦١. هكذا وجدت أنه كلما مضت  
١٤٦١ يوما إعتدل الحساب من جديد، وعادت  
الشعري اليمانية تظهر قبل شروق الشمس فى أول  
شهر توت. نحن النساء يا سيدة رابعة بدأنا العلوم  
وأولها علم الزراعة وعلم الفلك والحساب والجبر  
والهندسة وفنون الموسيقى والشعر ونحن أول من  
كتب الحروف والأرقام وعلم الناس أسماء النجوم  
والكواكب وكانت الأم تعلم ابنتها وحفيدتها وتنقل  
المعرفة من جيل إلى جيل ومنها أسماء النجوم وعلم  
الفلك، وفى صعيد مصر بنينا البروج الفلكية خاصة

البرجين فى سقوف معبد دندرة وبرجين بالقرب من  
إسنا، فى إسنا تبدأ البروج بالعدراء وفى دندرة تبدأ  
بالأسد. بنينا معبدى إسنا حين كانت الشمس فى فلك  
العدراء، ومعبد دندرة حين كانت الشمس فى فلك  
الأسد، وهذا معناه أن معبدى اسنا عمرهما سبع آلاف  
سنة أما معبد دندرة فإن عمره أربع آلاف سنة.

سيدنا رضوان: ما هذا الكلام يا سيدة إيزيس، هذا كلام غلط، لأن الله  
هو الذى علم آدم الأسماء منها أسماء النجوم.

بنت الله: لا ياسيد رضوان إن كلام جدتنا إيزيس صحيح، وقد  
نشرته جريدة المونيتور بالقاهرة فى عددها الصادر ١٨  
أغسطس ١٨٠٠ وثارت ضجة فى أوروبا واعترضت  
الكنيسة التى كانت تؤمن بالكتاب المقدس وتعتقد أن  
عمر البشرية هو العمر الوارد فى التوراة.

سيدنا إبراهيم: التوراة ثلاثة أنواع عبرية وسامرية وسبعونية وفى كل  
واحدة منها رقم مختلف لعمر البشرية يتراوح من  
٢٠٢٣ إلى ٢٣٢٤ إلى ٣٣٨٩ سنة.

بنت الله: فى عام ١٧٩٣ بدأ (ديبوا) المعركة بعد أن درس البروج  
المصرية الفلكية وقال إن حضارة مصر ترجع إلى ١٥  
ألف سنة، وثارت الكنيسة فى أوروبا لأن هذا  
الاكتشاف العلمى جاء مخالفا لنصوص الله فى  
التوراة. وفى عام ١٧٩٨ غزا نابليون مصر.

وزار علماؤه الصعيد وشاهدوا الابراج الأربعة فى  
سقوف معبدى دندرة واسنا. وفى يناير ١٨٨٢ سرق

برج دندرة من مصر إلى مرسلينا ثم باريس بواسطة «ليلورين» واشترته حكومة لويس الثامن عشر بمبلغ ١٥٠ ألف فرنك ووضعت في متحف اللوفر. لعن رجال الكنيسة برج دندرة وسموه بالحجر الأسود الحقيقير» أو أداة لبث الإلحاد وإنكار الله.

ثارت معركة حامية بين رجال الكنيسة يقودهم الأب «تيسستا» وعلماء الآثار يقودهم «ديوا»، وادعى الأب تيسستا أن بروج إسنا ودندرة ترجع إلى القرن الثالث قبل ميلاد المسيح وبالتالي لا تخالف كلام الله في التوراة، دامت هذه المعركة من ١٧٩٣ حتى ١٨٨٠ ثم انهزمت الكنيسة ورجالها أمام الحقائق التي أثبتتها العلماء في مصر وفرنسا وألمانيا وإنجلترا، ومنهم شامبليون الذي قرأ الأوراق البردية وحروف اللغة المصرية الهيروغليفية، واعترفت الكنيسة أن التاريخ المذكور في التوراة ليس هو الصحيح. وبدأ علم الآثار المصري الحديث يثبت أن أول إنسان ظهر على الأرض لم يكن هو سيدنا آدم الذي جاء عممه في التوراة ولكن آدم آخر عمره أكثر من خمسين ألف عام وحواء أخرى هي التي ولدت آدم وهي امرأة إفريقية سوداء البشرة.

(رابعة العدوية كانت واقفة لا تزال في يدها المرأة تنظر فيها. وجه رابعة العدوية أبيض البشرة أو قمحي اللون. ليس أسود).

بنت الله (تخاطب رابعة العدوية): وأنت يا سيدة رابعة تقولين أن سفرك

الطويل باحثة عن الله قد انتهى بك إلى هذه المرأة ترين فيها وجهك. أليس كذلك؟

رابعة العدوية: نعم يا سيدتي أو أنتى. هل أنت سيدة أم آنسة؟

بنت الله: ما الفرق بين السيدة والآنسة؟

رابعة العدوية: الآنسة عذراء لم تزوج بعد.

بنت الله: هل تسألين الرجال هذا السؤال يا سيدة رابعة؟

رابعة العدوية: لا يا سيدتي أو أنتى.

بنت الله: لماذا؟

رابعة العدوية: لأن العذرية ليست جزءا من شخصية الرجل قبل الزواج، ولا يولد الرجال بغشاء بكارة.

بنت الله: ولماذا يكون غشاء البكارة جزءا من شخصيتي يا سيدة رابعة؟

رابعة العدوية: لأنك بنت.

بنت الله: وماذا عن البنات اللاتي يولدن بدون غشاء بكارة؟ إن

٢٥! من البنات يا سيدتي يولدن بدون هذا الغشاء؟

وإذا أردت أن أعرفك بقصتي فأنا أقول أنني إنسانة

كاملة الأهلية ولدتني أمي عام ١٩٧٥ في قرية صغيرة

بالقرب من البحر ورأيت أبي يقتل أمه، ضربها بالفأس

الذي كانت تزرع به الأرض لتطعمه، وهرب أبي من

أمي بعد مولدي لأنه أراد ابنا ذكرا يرث اسمه واسم

أبيه، اشتغلت أمي بالفأس في الأرض لتعلمني في

المدارس والجامعات، دخلت الجامعة قسم التاريخ،



وأصبحت أستاذة أحمل درجة الدكتوراة، فهل يكون غشاء البكارة جزءاً من شخصيتي يا سيدتي؟. هذا الغشاء الذى ربما لم أولد به أو تمزق وأنا أفقر السلم أو أركب الدراجة أو الحصان أو ربما اعتدى على رجل حين كانت أمى تتركنى عند الجيران وأنا طفلة فى الثامنة من عمري وتذهب إلى الحقل.

رابعة العدوية: أعوذ بالله هل هناك رجل يمكن أن يلمس طفلة فى الثامنة؟

سيدنا إبراهيم: نعم يا سيدتى كان هناك رجال بل أنبياء يتزوجون بنات أطفال فى سن الثامنة وأحياناً السابعة. إن الأخلاق مثل اللغة مثل أى شئ تتغير حسب الزمان والمكان، على أيامنا كان الرجال يقدمون زوجاتهم إلى الأعداء الرجال فدية لهم، وأنا نفسى قدمت زوجتى إلى فرعون مصر لتشاركه الفراش لعله يؤمن لى حياتى، كذبت عليه وقلت له أنها أختى.

بنت الله: أشكرك يا سيدنا إبراهيم على هذه الملاحظة وهى حقيقة تاريخية وردت أيضاً فى كتاب الله التوراة، لكنى أريد أن أسأل السيدة رابعة العدوية سؤال.

رابعة العدوية: تفضلى يا سيدتى أو آنسى، أه متأسفة، تفضلى يا أستاذة أو يا دكتورة.

بنت الله: وأنت تنظرين فى المرأة ماذا ترين؟

رابعة العدوية: أرى وجهى.

بنت الله: هل يمكن أن تصفى لنا هذا الوجه.

رابعة العدوية (تنظر فى المرأة): وجه امرأة بيضاء البشرة قمحية اللون شعرها طويل أسود (تضحك).

بنت الله: أنت قلت لنا رأيت الله فى وجهك. داخل المرأة فهل يكون وجه الله مثل وجهك.

رابعة العدوية: نعم ولم لا؟ أنا أرى الله فى نفسى.

سيدنا رضوان: أستغفر الله العظيم لا يمكن أن يكون لربنا الأعلى وجه امرأة أستغفر الله العظيم!.

سيدنا محمد: ربنا سبحانه وتعالى ليس له وجه ولا يد ولا لسان ولا جسد. إنه سبحانه وتعالى روح بلا جسم.

سيدنا إبراهيم: وكيف عرفت هذه الروح يا سيد محمد؟

سيدنا محمد: رأيتها فى النوم وسمعت صوتها فى غار حراء تنادىنى وتقول إقرأ باسم ربك الذى خلق.

سيدنا إبراهيم: أكان هو صوت الله يا سيد محمد؟

سيدنا محمد: نعم يا أبونا إبراهيم.

سيدنا إبراهيم: كيف عرفت أنه صوت الله.

سيدنا محمد: سيدنا جبريل قال لى إنه صوت الله.

سيدنا إبراهيم: هل كان صوت امرأة أم صوت رجل؟

سيدنا محمد: صوت رجل.

سيدنا إبراهيم: ولماذا صوت رجل؟ لماذا لا يكون صوت امرأة؟ هذه هى المشكلة يا أيها السادة والسيدات والانسان نأسف

فلنحذف كلمة أنسات، هذه هي المشكلة أيها السادة والسيدات إن الله قد ظهر لنا على شكل رجل وبصوت رجل مما يدل على أن هذه الصورة تدل علينا نحن الرجال أكثر مما تدل على الله، نحن الرجال تخيلنا أو تصورنا في أحلامنا أن الله لا بد أن يكون له شكلنا وصوتنا بل أخلاقنا أيضا وأحلامنا بالعدراوات البيضاوات الحور العين في الجنة ولأننا كنا نشرع الخيانة الزوجية لنا فقط نحن الرجال، فقد نقلنا هذا الواقع إلى خيالنا، ولهذا غابت أسماء النساء العظيمات من النصوص الإلهية في الكتب الثلاثة السماوية، إن قوة المرأة أو قوة الرحم التناسلية غائبة في كتب الله، وطغى النسب الأبوي على أسماء الأمهات، في التوراة مثلا أيها السادة والسيدات عرفنا مواليد آدم كلهم أبناء ذكورا ابتداء من ابنه الأول شيثا ثم أنوش حتى نصل إلى نوح وإبراهيم حوالي ٣٣٨٩ سنة كلهم أبناء ذكور ومن إبراهيم إلى عيسى المسيح حوالي ٢٢٠٠ سنة كلهم أبناء ذكور المدة من آدم حتى عيسى المسيح ٥٥٨٩ سنة كلهم ذكور كيف هذا أيها السادة والسيدات!؟

سيدنا رضوان: يا سيدنا إبراهيم لا بد أن نميز بين الأحداث الحقيقية والأحداث الأدبية الخيالية في كتب الله سبحانه وتعالى فهناك ما هو حقيقي وهناك رموز أو تورية أو خيال.

سيدنا إبراهيم: خيال أو تورية؟ إن البشر فقط يلجأون إلى التورية لإخفاء

الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة

الحقيقة بسبب عجز البشر ليس إلا أو خوفهم من بطش الحكام فيلجأون إلى الرموز لكن الله لا يخاف من الحكام ولا يعجز عن نقل الحقيقة فلماذا يلجأ إلى الرموز، ثم لماذا تكون كل هذه الرموز ذكورية والأسماء كلها أسماء رجال!؟ ومن الذي يميز الحقيقة والرمز أو التورية!؟

سيدنا رضوان: هذه مجرد أفكار يا سيدنا إبراهيم والله - سبحانه وتعالى - هو العليم الحكيم.

بنت الله: هذه الأفكار يا سيدنا رضوان تصبح قوة مادية حين تسيطر على الناس، تتحول إلى أسلحة للقتل في يد الحكام أو قوانين إعدام أو قرارات بمنع النساء من الخروج للعمل أو التعليم. هل سمعت الأخبار يوم ٣ أكتوبر ١٩٩٦؛ إن حركة الطالبان التي استولت على الحكم في مدينة كابول عاصمة أفغانستان قد منعت النساء من الخروج للعمل أو للمدارس، كل ذلك تحت اسم القرآن الكريم. وفي ١٦ يناير ١٩٩١ حمل جورج بوش الإنجيل في يده وهو يعطى الأوامر بالقضاء آلاف القنابل على مدينة بغداد. وفي الشهر الماضي حمل بنيامين نتانيا هو التوراة في يده وهو يأمر بذبح الفلسطينيين في مدينة رام الله، وفي السعودية والكويت والصومال وزانير والبوسنة وروسيا وأمريكا وأوروبا في كل بلاد العالم يحمل الحكام كتب الله وهم يصدرون أوامر الحرب أو القتل أو النهب وسرقة ثروات الشعوب

الأخرى. ألا تعرفون أيها السادة أن الاستعمار منذ نشوئه حتى اليوم يستخدم كلمة الله لإستعمار الآخرين ونهب أراضيهم ومواردهم الخام، والسادات في مصر كان يبدأ خطبه باسم الله ثم يتلو على الناس قرارات البنك الدولي أو صندوق النقد أو غيرها من أدوات الاستعمار الجديد.

سيدنا إبراهيم: نعم أيها السادة والسيدات هناك عالمان أحدهما حقيقي يعيش فوق الأرض ترويه دماء الحروب والاعتصاب والاستعمار القديم والجديد، وهناك عالم آخر غير حقيقي، عالم متخيل يعيش فيه الله في السماء لا يمتلك إلا الأفكار، وهذه الأفكار هي التي تتحول إلى قوة مادية في يد البشر فوق الأرض، هكذا لا يوجد انفصال بين الحقيقة والخيال، أو بين السماء والأرض، أو بين الله والإنسان كلاهما واحد، ولا بد أن يظهر الله على شكل إنسان وإلا ما عرفناه وما تصورناه وما أحببناه، هل يمكن يا سيدة رابعة أن تحبى الله كل هذا الحب لو ظهر لك على شكل ثعبان!

رابعة العدوية: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

سيدنا إبراهيم: الثعبان أيها السادة والسيدات لم يكن شيطاناً ولم يكن عدواً للبشر، فمن الذى وضع العداوة بينهما؟! أليس هو إله التوراة الذى أوعز إلى آدم وحواء أن عدوهما هو الثعبان أو الحية الذكية التى دلتهما على شجرة المعرفة، وفي القرآن أيضاً قال الله لآدم وحواء أن يهيطا

إلى الأرض وأمر بعضهم أن يكون عدواً للآخر. كان البشر أيها السادة والسيدات يعيشون بلا عدو وبلا حرب ولا قتل حتى جاءهم الإله يهوه إله الزلازل والبراكين والحروب ولم يكن لهذا الإله أن يعيش دون أن يقاتل عدواً، فإن اختفى العدو أو مات فلا بد له أن يخلق عدواً من خياله كما خلق إبليس، ويقول عنه الشيطان: وبدون الشيطان لا يمكن أن يستمر النظام فى عالمكم اليوم، كانت الشيوعية هي الشيطان حتى سقوط حائط برلين والاتحاد السوفياتى فأصبح العدو الجديد هو من أيها السادة والسيدات؟

سيدنا محمد: العدو الجديد أصبح العرب والمسلمون.

بنت الله: والفقراء والنساء من جميع الملل والأديان، أنظروا الآلاف يموتون ويقتلون من النساء والأطفال فى زانير وراوندا. (الجميع فى حالة من الصمت والوجوم، وأخيراً يحرك الرب الأعلى يده مشيراً إلى سيدنا رضوان).

سيدنا رضوان: والآن أيها السادة والسيدات والآنسات، متأسف لاداعى لكلمة الآنسات، الآن أيها السادة كلمة ربنا الأعلى حفظه الله وأتجاه، (يتدارك الخطأ) معذرة أقصد كلمة ربنا الأعلى حفظ نفسه وأبقى نفسه إلى أبد الأبدين.

ربنا الأعلى (بصوت هادئ حزين مملوء بالشجن)

لا يا رضوان لم أعد راغباً فى البقاء إلى أبد الأبدين. لقد مللت الخلود والوحدة والانعزال عن الناس فى

السموات العليا، حين طلبتم مني الحضور لإجتماع القصة هذا جئت إليكم بهذا الشكل الآدمي والا فزغنم من أى شكل آخر. أردت أن أهبط إليكم على شكل «روح» لكن الروح لا شكل لها ولا وجود لها إلا فى اخیال كيف يتحول اخیال إلى مادة أو قوة، هذه هى كتيبى السماوية حين تطبع وتتحول إلى دساتير تحملها الأحزاب الدينية، وهى أحزاب سياسية تتصارع على السلطة على الأرض والمال كما هو حادث فى العالم كله شرقاً وغرباً وشمالاً، جنوباً وقد غضبت مثلكم بسبب المذابح التى ذهب ضحيتها الآلاف من الشعب الفلسطينى أو الشعوب الأخرى فى أفريقيا وآسيا وغيرها، وغضبت مثلكم لما يحدث من قهر للنساء باسمى أو نهب لموارد الشعوب وأراضيها باسمى، وكنت غارقاً مستغرقاً فى عبادة ذاتى لأكثر من خمسة آلاف عام لأفرض عليكم عبادتى وأنا مجرد فكرة فى اخیال، وبعد أن استمعت بآذنى إلى كل أقوالكم وأقوالكن، أنتم الرجال وأنتن النساء أعترف لكم ولكن) أننى قد تحيزت للرجال دون النساء وجعلت الرجل مسيطراً على المرأة دون وجه حق، وتحيزت لقوم إبراهيم ووعدهتهم بأرض شعب آخر دون وجه حق، لقد وقعت فى أخطاء وتناقضات كثيرة لكنى كنت دائماً أعود إلى طبيعتى الإنسانية الأولى وأعود إلى الخير والعدل والمساواة والرحمة والحب، وربما لهذا السبب بقيت كتيبى الثلاثة حتى اليوم. إذ وجدت فيها

الشعوب المقهورة والنساء المقهورات سلاحاً للدفاع عن حقوقهم وحقوقهن. كما وجد فيها أيضاً الملوك ورؤساء الدول والحكومات سلاحاً لقهر الشعوب والنساء والفقراء.. لكن أيها السادة والسيدات إن البشرية تتقدم إلى الأمام، ولم يعد أحد يرجع إلى نظرية الخلق التى وردت فى كتابى أصبح العلم الحديث هو المرجع الوحيد للمعرفة الحقيقية، ولم تعد كتيبى إلا للحفاظ فى المتاحف وفنادق الفقراء، وأقسام التاريخ، والدين فى المدارس والجامعات، هذا من الناحية الأكاديمية فقط، لكن من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية فلا تزال كتيبى هى الأساس رغم التقدم فى العلوم الأخرى، وهذا خطير أيها السادة والسيدات، هذا الانفصال بين العلم والسياسة والثقافة، وهو انفصال أنا المسئول الأول عنه لأننى فصلت الجسد عن العقل أو الروح، فى حين أنه لا يوجد جسد بدون روح ولا توجد روح بدون جسد وعقل. هذه الفكرة لم تكن فكرتى فى الأصل، نقلتها عن الملكة «تى» أم الإله إخناتون، وهو نقلها عن أمه ثم حذف اسم أمه من التاريخ، ونقلت عن إخناتون كلماته ووضعتها فى كتابى التوراة دون أن أشير إليه، بل إن فكرة وجود الروح منفصلة عن الجسد لم تكن فكرتى فى الأصل، ولكنها فكرة الآلهة الفراعنة الذكور فى مصر القديمة فى حربهم ضد الإلهة الأم الكبرى إلهة الحكمة والخصب والطبيعة. اخترعوا

فكرة تقول أن لكل طفل يولد شبيهان له يولدان معه ولا تراهما العين البشرية، لا تراهما إلا عين الإله فرعون، الشبيه الأول اسمه «كا» والشبيه الثاني اسمه «با» وهما الروح التي تلبس جسم الطفل حتى يكبر ويموت ثم يفارقان جسمه ويطيران في السماء على شكل طائر هو الروح. واخترعوا فكرة عقاب الأرواح بعد الموت على يد إلهة تشبه الوحش هي عدوتهم الإلهة نوت، وكانت إلهة السماء، وزوجها جيب إله الأرض. واخترعوا دار الحساب في الحياة الأخرى بعد الموت، وجعلوا فيها ميزانا يزن السيئات والحسنات، وكان يوضع مع كل ميت في القبر كتاب اسمه كتاب الموتى، وقد أخذت عنهم كل هذه الأفكار ووضعتها في كتيبي الثلاثة عن الحياة الأخرى والجنة والحقيقة أيها السادة والسيدات أننى كنت أعيش في مصر القديمة، وكنت أسعى إلى الحكم بعد أن أحارب فرعون واقتله، عاصرت الفراعنة وقت رمسيس الثانى الذى حكم مصر من ١٣٠١ حتى ١٢٣٥ قبل مولد عيسى المسيح الذى جعلته ابنى، أما موسى فقد عاش في مصر معى في عهد رمسيس الثانى وكان يسمى الفرعون منفتاح وهو «فرعون الخروج» الذى حاربه وانتصرت عليه مع موسى وقومه إسرائيل. كانت هي الحرب انتصرنا فيها وتصادف أن هجم على مصر من الصحراء أسراب من الجراد فانهزت الفرصة وقلت أنا الذى أرسلت هذا الجراد، أما الفراعنة الأغبياء

والطبقات العليا فقد نجوا جميعا من الأذى، هكذا كنت أوجه ضرباتى دائما إلى الضعفاء الفقراء من النساء والأطفال والعبيد، وكانت عمليات الختان والاختصاص تجرى للعبيد فقط ولا تجرى للإلهة الفراعنة أو الأسياد، وحين صارت مصر تحت حكم المقدونيين بعد انتصار الأسكندر الأكبر المقدونى، ٣٣٤-٣٢٣ قبل مولد عيسى المسيح وانشتت عاصمة جديدة على شاطئ البحر سميت الأسكندرية على اسم الغازى الأسكندر الأكبر فرض الحكام الجدد اللغة اليونانية على الشعب المصرى بدلا من اللغة المصرية، وتم إلغاء ديانة إزييس التى كانت تدعو إلى العدل والنجبة والحرية، وقتل كهنة إزييس وحرقت كتبها وصورها، فرض على الشعب المصرى عبادتى من خلال كتابى التوراة المترجم إلى اليونانية السكندرية وهى الترجمة السبعينية، وبعد موت الأسكندر الأكبر إستولى البطالمة على مصر وفلسطين التى وقعت تحت حكم ملوك سوريا السلوقيين ١٩٨ قبل ميلاد المسيح، وفي جميع الأحوال أيها السادة والسيدات لم تكن ترجمة كتابى التوراة أو الأنجيل أو القرآن تتم إلا بقرار من الحاكم المسيطر. أنتم تقولون أن الحكام كانوا يحاربون باسمى، لكننى كنت أحارب باسم الحكام فى الحقيقة، وكنت واحدا من الفراعنة إضطر للفرار من مصر وأراد أن يشيد امبراطوريته فى أرض كنعان وفلسطين مع موسى وبنى إسرائيل، ولهذا جاءت التوراة باللغة

العبرية لأنى كنت أخطب قومي من بنى إسرائيل ولم أكن أخطب الشعب المصرى المحكوم برمسيس الثانى. هذا هو تاريخى أيتها السادة والسيدات وقد حذفت إسم أمى من التاريخ كما فعل أختاتون وحذفت أم آدم أيضا ووضعت نفسى مكان الأم الكبرى التى ولدت أول إنسان على الأرض. وجعلت نفسى خالق الكون فى ستة أيام حتى جاء العلم الحديث فكشفتنى ولا يمكن لى بعد اجتماع اليوم أن أستمر فى هذه اللعبة ولا بد من وضع الأمور فى نصابها، والاعتراف بالخطأ، فالاعتراف بالخطأ أفضل من الاستمرار فيه، وقد آن لهذا العالم أن يواصل حياته وتقدمه بدون إله وبدون شيطان أيضا، وبدون هذا التقسيم الخطير بين الجسد والروح، هذه الآفة التى عذبت الإنسان أكثر من خمسة آلاف عام، وجعلت الجسد أدنى من العقل والروح، لأصبح أنا العقل وأنا الروح العليا، ويصبح الإنسان بجسده هو الأدنى، انقسم الإنسان إلى رجل يرمز إلى العقل البشرى، وإلى امرأة أدنى ترمز إلى الجسد والعقل والروح كما وضعت عداوة بين الإنسان والطبيعة والكائنات الحية الأخرى ومنها الحية والثعبان. إن أخطر شئ يهدد قوة الإنسان هو ذلك التقسيم، لكنى كنت فى حاجة إلى أضعاف الإنسان لأكون أنا الأقوى، حتى يصبح الإنسان عبدا يعبدنى، ويخاف من نارى أو يطمع فى جنتى. لم يجبنى أحد حبا حقيقيا لأن الحب والخوف لا يجتمعان فى قلب واحد أنا فى

حاجة إلى الحب أيتها السادة والسيدات، الحب الحقيقى بلا خوف من نار أو طمع فى جنة، هذا الحب لم يقدمه لى أحد من البشر إلا رابعة العدوية، لم تكن تطمع فى الجنة أو تخاف النار، لكنها وقعت فى الخطأ الذى أنا سببه الأول، فصلت رابعة بين الجسد والروح، فصلت بين جسدها وروحها، حين كانت تنظر فى المرأة لم تكن ترى لا وجهها ولا وجهى وإنما هى نصوص وحروف مطبوعة فى الكتاب الإلهى. لم تكن ترى فى المرأة إلا صورتى فى خيالها وخيال الناس. صورة من وحي الخيال كانت تراها، عاشت رابعة فى الخيال. لم تعيش حياة المرأة الحقيقية. حكمت على جسدها بالإعدام كى ترانى فى مرآتها، وهذا ظلم أيتها السادة والسيدات، وإن كنت أنا خالقكم نساء ورجالا فقد خلقتكم نساء ورجالا بأجساد وعقول وأرواح متحدة داخل كيان الجسد.

إذا حرم الجسد من حياته ورغباته حرم العقل أيضا وحرمت الروح أيضا. لهذا السبب لم تكن رابعة العدوية سعيدة فى حياتها الحقيقية كما كانت هى سعيدة فى حياتها الخيالية الوهمية. إنى أشعر بتأنيب الضمير فهذه المرأة التى أعطتنى كل هذا الحب لم أعطيها أنا إلا الحرمان. كنت إلها قاسيا فى الحقيقة أعرض عن قسوتى بالكلام عن الرحمة والعدل، كنت أنا أيضا منقسما على نفسى أفصل بين جسدى

وروحى، أنكر جسدى وأتصور أننى لست إلا روحا فى الهواء، وحين جاءت اللحظة الحاسمة لأهبط إليكم فوق الأرض لم يكن لى مفر إلا الرجوع إلى الحق وارتداء جسدى الذى ترونه أمامكم أيها السادة والسيدات، وهو جسد رجل يدعى أنه ليس بشرا، وجسد إنسان يدعى أنه إله، وقد آن الأوان أن أظهر على حقيقتى، وأعلن عن استقالتي من منصبي، منصب الإله الواحد الخالد إلى الأبد، إن الخلود نقمة وليس نعمة. تصوروا الحياة بلا موت ماذا تكون؟ إنى أفضل أن أكون إنسانا ميتا يستمتع بالحياة والحب، والجنس، والحرية، وجميع زينات الدنيا عن أن أكون إليها حيا بلا حياة ولاجنس، ولاحب ولا حرية إلا الفراغ الخالد. إن قضية الحب مثل قضية الحرية لا تتجزأ، وإذا خلت السماء من الحب والحرية خلت الأرض أيضاً من الحب والحرية، وإذا كان إله السماء دكتاتوريا فهل يعرف الحكام فوق الأرض شيئا آخر غير الدكتاتورية!؟

(الصمت يدب فى القاعة. الجميع جالسون صامتون واجمبون.)

يختفى الضوء ثم يظلم المسرح تماما.

تسمع دقات قوية على الباب.

يضاء المسرح، الذى أصبح خاليا إلا من بنت الله.

اختفت الشخصيات الأخرى فى المسرحية.

تستمر الدقات على الباب، ثم يكسر الباب ويدخل رجال البوليس

يحملون البنادق. يتقدمهم رئيسهم نحو بنت الله.

رئيس البوليس (فى يده كتاب مطبوع): أنت هنا ونحن نبحث عنك.

بنت الله: هذه دارى ودار أمى وجدتي.

رئيس البوليس: وهذا الكتاب؟ هل أنت المؤلفة؟

بنت الله: نعم.

رئيس البوليس (يخاطب الجنود): ضعوا فى يديها السلاسل!

بنت الله (فى دهشة): لكنها مجرد مسرحية خيالية!

رئيس البوليس (فى استنكار): عوزاها تكون حقيقية كمان!؟

## المشهد الأخير

بنت الله جالسة فوق الأرض التراب مكبلة بالسلاسل الحديدية نسمع صوت السلاسل تتحرك مع صوتها غنائها الشجي الحزين. تتحسس الأرض التراب بكفيها وهي تغنى:

بنت الله: هذه الأرض كانت أرضها، ودارها كانت هذه الدار.

وشجرة الجميز، وبابها المفتوح إلى المدخل

والفرن والكانون والمشط والفأس

وجلبابها المعلق في المسمار

الخصيرة القش ولدت فوقها إبنا.

أرضته علمته القراءة والكتابة أعطته عقلها

رأيته يمسك الفأس يضربها وأنا أصرخ جدتي

دفنها تحت الأرض أخفى جسدها

ثم خرج للناس يقول أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له أم.

هذا هو أبى المعبود الأعظم

أراد أن يقتلنى أيضا أنا إبنته

لا يعترف إلا بأبنائه الذكور

ويمحو من الوجود ذاكرتى

(المسرح يظلم إلا من ضوء خافت نسمع أصوات كثيرة وضجة بالخارج، صوت نساء وأطفال وشباب يكسرون باب الزنزانة، يدخلون إلى بنت الله نرى من الوجوه فى الضوء الخافت وجه أريس ورابعة العدوية وسيدنا إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وجميع الشخصيات التى اختفت من المشهد السابق تعود كلها).

يسدل الستار وتنتهى المسرحية